نُزْهَةُ الخَاطِرِ
بِإِشَارَاتِ أَبِي بَكْرِ بْنِ طَاهِرٍ

(ت ٣٣٠هـ)

تأليف

نزار حمادي

دار الإمام ابن عرفة
تونس

نُزْهَةُ الخَاطِر
بإِشَارَاتِ أَبِي بَكْرِ بْنِ طَاهِر
(ت ٣٣٠هـ)

الكتاب: نُزْهَةُ الخَاطِرِ بِإِشَارَاتِ أَبِي بَكْرِ ابْنِ طَاهِر
إعداد: نزار حمادي
الناشر: دارُ الإمام ابنِ عَرَفة

الطبعة الأولى
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

نُزْهَةُ الخَاطِرِ
بِإِشَارَاتِ أَبِي بَكْرِ بْنِ طَاهِر
(ت ٣٣٠هـ)

قَالَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ الذَّهَبِيُّ (ت٧٤٨هـ)
أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ الأَبْهَرِيُّ كَانَ يَتَكَلَّمَ عَلَى عِلْمِ الظَّاهِرِ وَعِلْمِ الحَقِيقَةِ، وَكَانَ مَقْبُولًا عَلَى جَمِيعِ الأَلْسِنَةِ.
(تاريخ الإسلام، ج٧/ص٦٢٠)

تَأْلِيف
نزار حمَّادي

دار الإمام ابْنِ عَرَفة
تونس

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ

أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ زَرُّوقٌ (ت٨٩٩هـ)

إِذَا لَمْ يَكُنْ كَلَامُ رَبِّ العَالَمِينَ مَحَلًّا لِلْفَتْحِ وَالتَّمْكِينِ، فَأَيُّ كَلَامٍ أَوْلَى بِهِ وَأَحَقُّ فِي الدِّينِ؟! أَهَذَيَانُ المُبْطِلِينَ وَشَقَاشِقُ المُلْحِدِينَ، وَخُزَعْبَلَاتُ اللَّاعِبِينَ وَتَحْرِيفَاتُ المَارِقِينَ، وَطَرَائِقُ الخَارِجِينَ عَنْ سَنَنِ المُهْتَدِينَ، الَّذِينَ اعْتَمَدُوا مُجَرَّدَ البَاطِنِ، فَوَقَعُوا فِي كُلِّ شَرٍّ وَبَاطِلٍ؟! وَيَرْحَمُ اللهُ شَيْخَ المَشَايِخِ سَيِّدِي أَبَا مَدْيَنَ حَيْثُ يقُولُ: «**لَا يَكُونُ المُرِيدُ مُرِيدًا حَتَّى يَجِدَ فِي القُرْآنِ كُلَّ مَا يُرِيدُ**»، هَذَا شَأْنُ المُرِيدِ، فَكَيْفَ بِالعَارِفِ الكَامِلِ؟! وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

(عدة المريد الصادق، ص٨٦)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَبْرَزَ حَقَائِقَ المَعَانِي فِي عَجَائِبِ صُوَرِ وَتَرَاكِيبِ الكَلَام، وَأَوْدَعَ فِيهَا دَقَائِقَ أَسْرَارِ البَلَاغَةِ بِأَجْزَلِ الأَلْفَاظِ وَأَحْسَنِ نِظَام، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ خُتِمَ بِهِ الهُدَى وَكَمَلَتْ مِلَّةُ الإِسْلَام، مُحَمَّدٍ المُصْطَفَى الَّذِي جَاءَ بِالحِكْمَةِ الَّتِي فَاقَتْ حِكَمَ جَمِيعِ الأَنَام، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الكِرَام.

وَبَعْدُ، فَإِنَّ مِنَ القَضَايَا المُقَرَّرَةِ عِنْدَ أُولِي الأَلْبَابِ، وَالمُقَدِّمَاتِ المُحَرَّرَةِ لَدَيْهِمْ بِلَا ارْتِيَابٍ، أَنَّ التَّفْسِيرَ عِلْمٌ لَا يُكْتَنَهُ كُنْهُ فَوَائِدِهِ، وَلَا يَتَنَاهَى وَصْفُ عَوَائِدِهِ، كَيْفَ لَا وَمَوْضُوعُهُ القُرْآنُ الَّذِي «**لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا تَتَنَاهَى غَرَائِبُهُ**»[1]، ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[الكهف: ١٠٩]، وَلِذَلِكَ لَمْ يَزَلِ العُلَمَاءُ يَتَدَبَّرُونَهُ لِيَرْفَعُوا عَنْ وُجُوهِ مَعَانِيهِ النِّقَابَ، وَيَكْشِفُوا عَنْ دَقَائِقِ بَيَانِهِ الحِجَابَ، مُشَمِّرِينَ عَنْ سَاقِ الجِدِّ فِي اسْتِطْلَاعِ أَصْنَافِ أَسْرَارِهِ، غَائِصِينَ فِي قَامُوسِهِ لِاسْتِخْرَاجِ لَآلِئِهِ مِنْ أَصْدَافِ بِحَارِهِ.

(١) حديث مرفوع للنبي ﷺ رواه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن.

ثُمَّ إِنَّ طُرُقَ الكَشْفِ عَنْ مَعَانِي القُرْآنِ العَظِيمِ وَإِنْ تَعَدَّدَتْ فَمَرْجِعُهَا إِلَى التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ:

ـ **أَمَّا التَّفْسِيرُ**: فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَبْيِينِ المَعْنَى وَكَشْفِهِ اسْتِنَادًا إِلَى النَّقْلِ وَالسَّمَاعِ، كَبَيَانِ المَدْلُولِ الوَضْعِيِّ العَرَبِيِّ لِلْأَلْفَاظِ، وَالإِخْبَارِ عَنْ سَبَبِ نُزُولِ الآيَةِ، وَبَيَانِ مَا نَزَلَتْ فِيهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا مَنْ نُقِلَ لَهُ لِسَانُ العَرَبِ وَشَهِدَ النُّزُولَ وَعَايَنَ السَّبَبَ وَهُمُ الصَّحَابَةُ ﵃، فَجَازَ لَهُمُ التَّفْسِيرُ لِتَمَكُّنِهِمْ مِنْ كَشْفِ المَعْنَى الحَاصِلِ بِالمُعَايَنَةِ، بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ.

ـ **وَأَمَّا التَّأْوِيلُ**: فَهُوَ صَرْفُ الكَلَامِ إِلَى بَعْضِ مُحْتَمَلَاتِهِ بِتَرْجِيحِهِ عَلَى سَائِرِ مَا عَدَاهُ لِدَلِيلٍ دَعَا إِلَيْهِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالدِّرَايَاتِ، كَمَا إِذَا كَانَ اللَّفْظُ مُشْتَرَكًا بَيْنَ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ مُحْتَمِلًا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا، فَيُحْمَلُ اللَّفْظُ عَلَى بَعْضِ تِلْكَ المَعَانِي لِكَوْنِهِ مُوَافِقًا لِلْأُصُولِ: مِنْ آيَةٍ مُحْكَمَةٍ، أَوْ حَدِيثٍ صَحِيحٍ، أَوْ إِجْمَاعِ العُلَمَاءِ، فَيَتَعَيَّنُ ذَلِكَ المَعْنَى، فَلابُدَّ مِنْ عَرْضِ المَعَانِي المُحْتمِلَةِ عَلَى الأُصُولِ الشَّرْعِيَّةِ المُتَقَدِّمَةِ، فَمَا وَافَقَ القَوَاعِدَ فَهُوَ صَحِيحٌ، وَإِلَّا فَهُوَ فَاسِدٌ وَلَا يَعْدُو كَوْنَهُ قَوْلًا بِمُجَرَّدِ التَّشَهِّي.

وَيَظْهَرُ بِهَذَا أَنَّ اسْتِنْبَاطَ مَعَانِي القُرْآنِ بِالرَّأْيِ وَالاجْتِهَادِ يُسَمَّى اصْطِلَاحًا تَأْوِيلًا، لَا تَفْسِيرًا، وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ أَئِمَّةِ التَّفْسِيرِ كَالإِمَامِ أَبِي حَفْصٍ نَجْمِ الدِّينِ النَّسَفِي (ت٥٣٧هـ)

إِذْ قَالَ: «التَّفْسِيرُ: عِلْمُ نُزُولِ الآيَةِ وَشَأْنِهَا وَقِصَّتِهَا وَأَسْبَابِهَا الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا، وَالأَقْوَامِ الَّذِينَ أُرِيدُوا بِهَا، وَالتَّأْوِيلُ: صَرْفُ الآيَةِ إِلَى مَعْنًى تَحْتَمِلُهُ مُوَافِقٍ لِمَا قَبْلَهَا أَوْ مَا بَعْدَهَا»[١].

وَالدَّاعِي إِلَى التَّأْوِيلِ هُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَزَّلَ القُرْآنَ المَجِيدَ هُدًى لِلنَّاسِ، يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ مَا يَحْتَاجُونَهُ فِي الاعْتِقَادِ وَالأَخْلَاقِ وَالعَمَلِ، وَلَيْسَ جَمِيعُ ذَلِكَ مَنْصُوصًا فِي القُرْآنِ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ بَعْضَهُ مَأْخُوذٌ بِالاجْتِهَادِ مِنْ مَفْهُومَاتِ النُّصُوصِ، وَقِيَاسِ غَيْرِ المَذْكُورِ عَلَى المَذْكُورِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ طَرَائِقِ الاسْتِنْبَاطِ، وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِالعَرْضِ عَلَى الأُصُولِ المُقَرَّرَةِ كَمَا هُوَ مُبَيَّنٌ فِي فَنِّ أُصُولِ الفِقْهِ، فَإِنَّ القُرْآنَ وَارِدٌ عَلَى أَسَالِيبِ كَلَامِ العَرَبِ، وَلِلُغَةِ العَرَبِ أُصُولٌ وَقَوَانِينُ فِي عِلْمِ النَّحْوِ وَعِلْمِ المَعَانِي وَالبَيَانِ، فَالتَّكَلُّمُ فِي مَعَانِي الكِتَابِ العَزِيزِ بِحَسَبِ الرَّأْيِ وَالفِكْرَةِ إِنْ كَانَ بِمُجَرَّدِ التَّشَهِّي فَهُوَ المَمْنُوعُ، وَإِنْ كَانَ مَعَ مُرَاعَاةِ الأُصُولِ وَالضَّوَابِطِ المُقَرَّرَةِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُمْنَعَ وَإِلَّا لَتَعَطَّلَ فَهْمُ الكَثِيرِ مِنْ مَعَانِي القُرْآنِ.

قَالَ الإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الغَزَالِيُّ (ت٥٠٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ زَعَمَ أَنْ لَا مَعْنَى لِلْقُرْآنِ إِلَّا مَا تَرْجَمَهُ ظَاهِرُ التَّفْسِيرِ فَهُوَ مُخْبِرٌ عَنْ حَدِّ

---

(١) تفسير القرآن (ق١/ب)

نَفْسِهِ، وَهُوَ مُصِيبٌ فِي الإِخْبَارِ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَكِنَّهُ مُخْطِئٌ فِي الحُكْمِ بِرَدِّ الخَلْقِ كَافَّةً إِلَى دَرَجَتِهِ الَّتِي هِيَ حَدُّهُ وَمَحَطُّهُ، بَلِ الأَخْبَارُ وَالآثَارُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِي مَعَانِي القُرْآنِ مُتَّسَعًا لِأَرْبَابِ الفَهْمِ[١].

ثُمَّ أَيَّدَ الغَزَالِيُّ ذَلِكَ بِبَعْضِ الآثَارِ الوَارِدَةِ عَنِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم كَقَوْلِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «**إِنَّكَ لَا تَفْقَهُ كُلَّ الفِقْهِ حَتَّى تَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا**»[٢]، وَقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «**مَنْ أَرَادَ خَيْرَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فَلْيُثَوِّرِ القُرْآنَ**»[٣]، وَقَوْلِ عَلِيٍّ رضي الله عنه وَقَدْ سُئِلَ: هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ؟ فَقَالَ: «لاَ، إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، **أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ**» الأَثَرَ[٤].

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ بَطَّالٍ (ت٤٤٩هـ) رحمه الله: التَّفَهُّمُ لِلْعِلْمِ هُوَ التَّفَقُّهُ فِيهِ، وَلَا يَتِمُّ العِلْمُ إِلَّا بِالفَهْمِ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: «**وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ**»، فَجَعَلَ الفَهْمَ دَرَجَةً أُخْرَى بَعْدَ حِفْظِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ بِالفَهْمِ لَهُ تَبِينُ مَعَانِيهِ وَأَحْكَامُهُ، وَقَدْ نَفَى صلى الله عليه وسلم العِلْمَ عَمَّنْ لَا فَهْمَ لَهُ

---

(١) الإحياء (ج٢/ص٣٢١)

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٤٧٣) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٧٢٦)

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (ص١٥٧) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٨٣٩)

(٤) البخاري (١١١)

بِقَوْلِهِ: «**رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**»[1]، وَقَالَ مَالِكٌ: «لَيْسَ العِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ نُورٌ يَضَعُهُ اللهُ فِي القُلُوبِ»، يَعْنِي بِذَلِكَ فَهْمَ مَعَانِيهِ وَاسْتِنْبَاطَهُ، فَمَنْ أَرَادَ التَّفَهُّمَ فَلْيُحْضِرْ خَاطِرَهُ، وَيُفَرِّغْ ذِهْنَهُ، وَيَنْظُرْ إِلَى بِسَاطِ[2] الكَلَامِ وَمَخْرَجِ الخِطَابِ، وَيَتَدَبَّرِ اتِّصَالَهُ بِمَا قَبْلَهُ، وَانْفِصَالَهُ مِنْهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ رَبَّهُ أَنْ يُلْهِمَهُ إِلَى إِصَابَةِ المَعْنَى، وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا لِمَنْ عَلِمَ كَلَامَ العَرَبِ، وَوَقَفَ عَلَى أَغْرَاضِهَا فِي تَخَاطُبِهَا، وَأُيِّدَ بِجَوْدَةِ قَرِيحَةٍ، وَثَاقِبِ ذِهْنٍ[3].

وَقَالَ البَدْرُ العَيْنِيُّ (ت٨٥٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: المُرَاد مِنَ الفَهْمِ مَا يَفْهَمُهُ الرَّجُلُ مِنْ فَحْوَى الكَلَام، وَيُدْرَكُ مِنْ بَوَاطِنِ المعَانِي الَّتِي هِيَ غَيْرُ الظَّاهِر مِنْ نَصِّهِ، كَوُجُوهِ الأَقْيِسَةِ وَالمَفَاهِيمِ وَسَائِرِ الاسْتِنْبَاطَاتِ، وَالدَّلِيل عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ البُخَارِيّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الدِّيَاتِ بِلَفْظ: «**مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي القُرْآنِ، إِلَّا فَهْمًا يُعْطَى رَجُلٌ فِي الكِتَابِ**»[4]. وَالمعْنَى: إِلَّا مَا فِي الْقُرْآن مِنَ الأَشْيَاءِ المَنْصُوصَةِ، لَكِنْ إِنْ أَعْطَى اللَّهُ رَجُلًا فَهْمًا فِي كِتَابِهِ فَهُوَ يَقْدِرُ

---

(١) اللمع في التصوف لأبي نصر الطوسي (ص١٠٦) طبعة ليدن ١٩١٤م

(٢) في النصِّ المطبوع: نَشاطِ. وقد رجعتُ إلى أصْل خطّيٍ للتصحيح.

(٣) شرح صحيح البخاري (ج١/ص١٥٧)

(٤) البخاري (٦٩٠٣)

عَلَى اسْتِنْبَاطِ أَشْيَاءَ أُخْرَى خَارِجَةٍ عَنْ ظَاهِرِ النَّصِّ[1].

وَكَتَبَ الشِّهَابُ القَسْطَلَّانِيُّ (ت٩٢٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَوْ فَهْمٍ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ**»: أَيْ مِنْ فَحْوَى الكَلَامِ، وَيُدْرِكُهُ مِنْ بَاطِنِ المَعَانِي الَّتِي هِيَ غَيْرُ الظَّاهِرِ مِنْ نَصِّهِ، وَمَرَاتِبُ النَّاسِ فِي ذَلِكَ مُتَفَاوِتَةٌ، **وَيُفْهَمُ مِنْهُ جَوَازُ اسْتِخْرَاجِ العَالِمِ مِنَ القُرْآنِ بِفَهْمِهِ مَا لَمْ يَكُنْ مَنْقُولًا عَنِ المُفَسِّرِينَ إِذَا وَافَقَ أُصُولَ الشَّرِيعَةِ**[2].

وَلَا رَيْبَ أَنَّ مِمَّنْ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى الفَهْمَ فِي كِتَابِهِ وَقُوَّةَ الاسْتِنْبَاطِ مِنْهُ تُرْجُمَانَ القُرْآنِ وَحَبْرَ الأُمَّةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَيْفَ لَا وَقَدْ دَعَا لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»[3]؟!.

وَمِنَ الشَّوَاهِدِ الجَلِيَّةِ عَلَى اسْتِجَابَةِ اللهِ تَعَالَى لِدُعَاءِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ[4]؟! فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ

---

(١) عمدة القاري (ج٢/ص١٦٠)

(٢) إرشاد الساري (ج١/ص٢٠٤)

(٣) مسند أحمد (٢٣٩٧) وصحيح ابن حبان (٧٠٥٥)

(٤) ابنُ حجر: أي في مِثْلِ سِنِّه، لا في مثل فَضْلِهِ وقرابته من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (الفتح، ج٨/ص٧٣٥)

عَلِمْتُمْ[١]، فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ[٢]، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر: ١]؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: «هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ»، قَالَ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر: ١]، وَذَلِكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر: ٣]، فَقَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ»[٣].

وَمِنَ الشَّوَاهِدِ الصَّحِيحَةِ أَيْضًا مَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ بِسَنَدِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (ت٦٨هـ) رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ، احْتَمَلَتْ مِنْهُ القُلُوبُ عَلَى قَدْرِ يَقِينِهَا وَشَكِّهَا، فَأَمَّا الشَّكُّ فَلَا يَنْفَعُ مَعَهُ العَمَلُ، وَأَمَّا اليَقِينُ فَيَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ

---

(١) ابنُ حجر: أشار بذلك إلى قرابته من النبيِّ ﷺ، أو إلى معرفته وفطنتهِ. (الفتح، ج٨/ص٧٣٥)

(٢) ابنُ حجر: في رواية بزيادة: مِنِّي، أي: مثلَ ما رآه هو مِنِّي من العلم. (الفتح، ج٨/ص٧٣٦)

(٣) البخاري (٤٩٧٠)

أَهْلَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾[الرعد: ١٧] وَهُوَ الشَّكُّ، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧] وَهُوَ اليَقِينُ، كَمَا يُجْعَلُ الحُلِيُّ فِي النَّارِ فَيُؤْخَذُ خَالِصُهُ وَيُتْرَكُ خَبَثُهُ فِي النَّارِ، فَكَذَلِكَ يَقْبَلُ اللَّهُ اليَقِينَ وَيَتْرُكُ الشَّكَّ(١).

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيُّ (ت٨٥٢هـ) بَعْدَ إِيرَادِ خَبَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﵄: «**وَفِيهِ جَوَازُ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ بِمَا يُفْهَمُ مِنَ الإِشَارَاتِ، وَإِنَّمَا يَتَمَكَّنُ مِنْ ذَلِكَ مَنْ رَسَخَتْ قَدَمُهُ فِي العِلْمِ**»(٢).

وَمِنْ هُنَا قَالَ الغَزَالِيُّ (ت٥٠٥هـ) ﵀: لَا يُسْتَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ فِي القُرْآنِ **إِشَارَاتٌ**، وَإِنْ كُنْتَ لَا تَقْوَى عَلَى احْتِمَالِ مَا يَقْرَعُ سَمْعَكَ مِنْ هَذَا النَّمَطِ مَا لَمْ تَسْنِدِ التَّفْسِيرَ إِلَى الصَّحَابَةِ، فَإِنْ كَانَ التَّقْلِيدُ غَالِباً عَلَيْكَ فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾[الرعد:١٧] الآية، وَأَنَّهُ كَيْفَ مَثَّلَ العِلْمَ بِالمَاءِ، وَالقُلُوبَ بِالأَوْدِيَةِ وَاليَنَابِيعِ، وَالضَلَالَ بِالزَّبَدِ، ثُمَّ نَبَّهَكَ عَلَى

(١) جامع البيان (ج١٣/ص٤٩٨)

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج٨/ص٧٣٤)

آخِرِهَا فَقَالَ: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾[الرعد:١٧]، ويَكْفِيكَ هَذَا القَدْرُ مِنْ هَذَا الفَنِّ فَلَا تُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْهُ(١).

وَقَدِ اجْتَهَدَ أَيِمَّةُ التَّفْسِيرِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي بَسْطِ إِشَارَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فَقَالَ الإِمَامُ أَبُو القَاسِمِ القُشَيْرِيِّ (ت٤٦٥هـ) رحمه الله: هَذِهِ الآيَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى أَمْثَالٍ ضَرَبَهَا اللهُ تَعَالَى لِتَشْبِيهِ القُرْآنِ المُنَزَّلِ بِالمَاءِ المُنَزَّلِ مِنَ السَّمَاءِ، وَشَبَّهَ القُلُوبَ بِالأَوْدِيَةِ، وَشَبَّهَ وَسَاوِسَ الشَّيْطَانِ وَهَوَاجِسَ النَّفْسِ بِالزَّبَدِ الَّذِي يَعْلُو المَاءَ، وَشَبَّهَ الحَقَّ بِالجَوَاهِرِ الصَّافِيَةِ مِنَ الخَبَثِ كَالذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَغَيْرِهَا، وَشَبَّهَ البَاطِلَ بِخَبَثِ هَذِهِ الجَوَاهِرِ، وَكَمَا أَنَّ الأَوْدِيَةَ مُخْتَلِفَةٌ فِي صِغَرِهَا وَكِبَرِهَا، وَأَنَّ بِقَدَرِهَا تَحْتَمِلُ المَاءَ فِي القِلَّةِ وَالكَثْرَةِ، كَذَلِكَ القُلُوبُ تَخْتَلِفُ فِي الاحْتِمَالِ عَلَى حَسَبِ الضَّعْفِ وَالقُوَّةِ، وَكَمَا أَنَّ السَّيْلَ إِذَا حَصَلَ فِي الوَادِي يُطَهِّرُ الوَادِيَ، فَكَذَلِكَ القُرْآنُ إِذَا حَصَلَ حِفْظُهُ فِي القُلُوبِ نَفَى الوَسَاوِسَ وَالهَوَى عَنْهَا، وَكَمَا أَنَّ المَاءَ قَدْ يَصْحَبُهُ مَا يُكَدِّرُهُ، وَيَخْلُصُ بَعْضُهُ مِمَّا يَشُوبُهُ، فَكَذَلِكَ الإِيمَانُ وَفَهْمُ القُرْآنِ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ حِينَ يَخْلُصُ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ وَمِنَ الخَوَاطِرِ الرَّدِيَّةِ، فَالقُلُوبُ بَيْنَ صَافٍ وَكَدِرٍ، وَكَمَا أَنَّ الجَوَاهِرَ الَّتِي تُتَخَّذُ مِنْهَا الأَوَانِي إِذَا أُذِيبَتْ خُلِّصَتْ مِنَ

---

(١) جواهر القرآن (ص٥١)

الخَبَثِ، كَذَلِكَ الحَقُّ يَتَمَيَّزُ مِنَ البَاطِلِ، وَيَبْقَى الحَقُّ وَيَضْمَحِلُّ البَاطِلُ[1].

وَقَالَ مُحْيِي السُّنَّةِ الحُسَيْنُ البَغَوِيُّ (ت٥١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ جَمْعًا بَيْنَ مَدْلُولِ العِبَارَةِ وَفَحْوَى الإِشَارَةِ: قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَنزَلَ﴾ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يَعْنِي المَطَرَ، ﴿فَسَالَتْ﴾ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، ﴿أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ أَيْ: فِي الصِّغَرِ وَالكِبَرِ، ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ﴾ الَّذِي حَدَثَ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ ﴿زَبَدًا﴾ الزَّبَدُ: الخَبَثُ الَّذِي يَظْهَرُ عَلَى وَجْهِ المَاءِ، وَكَذَلِكَ عَلَى وَجْهِ القِدْرِ، ﴿رَّابِيًا﴾ أَيْ: عَالِيًا مُرْتَفِعًا فَوْقَ المَاءِ، فَالمَاءُ الصَّافِي البَاقِي هُوَ الحَقُّ، والذَّاهِبُ وَالزَّائِلُ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِالأَشْجَارِ وَجَوَانِبِ الأَوْدِيَةِ هُوَ البَاطِلُ. وَقِيلَ: قَوْلُهُ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ **هَذَا مَثَلٌ لِلْقُرْآنِ، وَالأَوْدِيَةُ مَثَلٌ لِلْقُلُوبِ، يُرِيدُ: يُنْزِلُ القُرْآنَ فتَحْتَمِلُ مِنْهُ القُلُوبُ عَلَى قَدْرِ اليَقِينِ وَالعَقْلِ وَالشَّكِّ وَالجَهْلِ**[2].

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو الفَرَجِ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت٥٩٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِيمَا ضُرِبَ لَهُ هَذَانِ المَثَلَانِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

---

(١) لطائف الإشارات (ج٢/ص٢٢٤)

(٢) معالم التنزيل (ج٣/ص١٤)

ـ **أَحَدُهَا**: أَنَّهُ القُرْآنُ، شُبِّهُ نُزُولُهُ مِنَ السَّمَاءِ بِالمَاءِ، وَشُبِّهَ قُلُوبُ العِبَادِ بِالأَوْدِيَةِ تَحْمِلُ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ اليَقِينِ وَالشَّكِّ وَالعَقْلِ وَالجَهْلِ، فَيَسْتَكِنُّ فِيهَا، فَيَنْتَفِعُ المُؤْمِنُ بِمَا فِي قَلْبِهِ كَانْتِفَاعِ الأَرْضِ الَّتِي يَسْتَقِرُّ فِيهَا المَطَرُ، وَلَا يَنْتَفِعُ الكَافِرُ بِالقُرْآنِ لِمَكَانِ شَكِّهِ وَكُفْرِهِ، فَيَكُونُ مَا حَصَلَ عِنْدَهُ مِنَ القُرْآنِ كَالزَّبَدِ وَكَخَبَثِ الحَدِيدِ لَا يُنْتَفَعُ بِهِ.

ـ **وَالثَّانِي**: أَنَّهُ الحَقُّ وَالبَاطِلُ، فَالحَقُّ شُبِّهَ بِالمَاءِ البَاقِي الصَّافِي، وَالبَاطِلُ مُشَبَّهٌ بِالزَّبَدِ الذَّاهِبِ، فَهُوَ وَإِنْ عَلَا عَلَى المَاءِ فَإِنَّهُ سَيُمْحَقُ، كَذَلِكَ البَاطِلُ وَإِنْ ظَهَرَ عَلَى الحَقِّ فِي بَعْضِ الأَحْوَالِ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ.

ـ **وَالثَّالِثُ**: أَنَّهُ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ وَالكَافِرِ، فَمَثَلُ المُؤْمِنِ وَاعْتِقَادِهِ وَعَمَلِهِ كَالمَاءِ المُنْتَفَعِ بِهِ، وَمَثَلُ الكَافِرِ وَاعْتِقَادِهِ وَعَمَلِهِ كَالزَّبَدِ(١).

وقَالَ الإمامُ الفخْرُ الرَّازِي (ت٦٠٦هـ): اعْلَمْ أَنَّهُ تَعالَى لَمَّا شَبَّهَ المُؤْمِنَ وَالكَافِرَ وَالإِيمانَ وَالكُفْرَ بِالأَعْمى وَالبَصِيرِ وَالظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ، ضَرَبَ لِلإِيمَانِ وَالكُفْرِ مَثَلًا آخَرَ فَقَالَ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾[الرعد:١٧] وَمِنْ حَقِّ المَاءِ أَنْ يَسْتَقِرَّ فِي الأَوْدِيَةِ المُنْخَفِضَةِ عَنِ الجِبالِ وَالتِّلَالِ بِمِقْدارِ سَعَةِ تِلْكَ الأَوْدِيَةِ

---

(١) زاد المسير (ج٢/ص٤٩١)

وَصِغَرِهَا، وَمِنْ حَقِّ المَاءِ إِذَا زَادَ عَلَى قَدْرِ الأَوْدِيَةِ أَنْ يَنْبَسِطَ عَلَى الأَرْضِ، وَمِنْ حَقِّ الزَّبَدِ الَّذِي يَحْتَمِلُهُ المَاءُ فَيَطْفُو وَيَرْبُو عَلَيْهِ أَنْ يَتَبَدَّدَ فِي الأَطْرَافِ وَيَبْطُلَ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ الزَّبَدُ مَا يَجْرِي مَجْرَى الغَلَيَانِ مِنَ البَيَاضِ، أَوْ مَا يُحْفَظُ بِالمَاءِ مِنَ الأَجْسَامِ الخَفِيفَةِ.

وَلَمَّا ذَكَرَ تعالى هَذَا الزَّبَدَ الَّذِي لَا يَظْهَرُ إِلَّا عِنْدَ اشْتِدَادِ جَرْيِ المَاءِ، ذَكَرَ الزَّبَدَ الَّذِي لَا يَظْهَرُ إِلَّا بِالنَّارِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الأَجْسَادِ السَّبْعَةِ(١) إِذَا أُذِيبَ بِالنَّارِ لِابْتِغَاءِ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ آخَرَ مِنَ الأَمْتِعَةِ الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي مَصَالِحِ البَيْتِ فَإِنَّهُ يَنْفَصِلُ عَنْهَا نَوْعٌ مِنَ الزَّبَدِ وَالخَبَثِ لَا يُنْتَفَعُ بِهِ، بَلْ يَضِيعُ وَيَبْطُلُ وَيَبْقَى الْخَالِصُ.

فَالحَاصِلُ: أَنَّ الوَادِيَ إِذَا جَرَى طَفَا عَلَيْهِ زَبَدٌ، وَذَلِكَ الزَّبَدُ يَبْطُلُ وَيَبْقَى المَاءُ، وَالأَجْسَادُ السَّبْعَةُ إِذَا أُذِيبَتْ لِأَجْلِ اتِّخَاذِ الحُلِيِّ أَوْ لِأَجْلِ اتِّخَاذِ سَائِرِ الأَمْتِعَةِ انْفَصَلَ عَنْهَا خَبَثٌ وَزَبَدٌ فَيَبْطُلُ وَيَبْقَى ذَلِكَ الجَوْهَرُ المُنْتَفَعُ بِهِ، فَكَذَا هَاهُنَا أَنْزَلَ مِنْ سَمَاءِ الكِبْرِيَاءِ وَالجَلَالَةِ وَالإِحْسَانِ مَاءً وَهُوَ القُرْآنُ، وَالأَوْدِيَةُ قُلُوبُ العِبَادِ.

---

(١) وهي الذهبُ، والفضَّةُ، والنُّحاس، والقصدير، والرصاصُ، والحديد، ومزيجُ القصدير والنحاس.

وَشَبَّهَ القُلوبَ بِالأَوْدِيَةِ لِأَنَّ القُلُوبَ تَسْتَقِرُّ فِيهَا أَنْوَارُ عُلُومِ القُرْآنِ، كَمَا أَنَّ الأَوْدِيَةَ تَسْتَقِرُّ فِيهَا المِيَاهُ النَّازِلَةُ مِنَ السَّمَاءِ، وَكَمَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فَإِنَّمَا يَحْصُلُ فِيهِ مِنْ مِيَاهِ الأَمْطَارِ مَا يَلِيقُ بِسِعَتِهِ أَوْ ضِيقِهِ، فَكَذَا هَاهُنَا كُلُّ قَلْبٍ إِنَّمَا يَحْصُلُ فِيهِ مِنْ أَنْوَارِ عُلُومِ القُرْآنِ مَا يَلِيقُ بِذَلِكَ القَلْبِ مِنْ طَهَارَتِهِ وَخُبْثِهِ وَقُوَّةِ فَهْمِهِ وَقُصُورِ فَهْمِهِ.

وَكَمَا أَنَّ المَاءَ يَعْلُوهُ زَبَدٌ، وَالأَجْسَادَ السَّبْعَةَ المُذَابَةَ يُخَالِطُهَا خَبَثٌ، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ الزَّبَدَ وَالخَبَثَ يَذْهَبُ وَيَضِيعُ وَيَبْقَى جَوْهَرُ المَاءِ وَجَوْهَرُ الأَجْسَادِ السَّبْعَةِ، كَذَا هَاهُنَا بَيَاناتُ القُرْآنِ تَخْتَلِطُ بِهَا شُكُوكٌ وَشُبَهَاتٌ، ثُمَّ إِنَّهَا بِالأَخرَةِ تَزُولُ وَتَضِيعُ وَيَبْقَى العِلْمُ وَالدِّينُ وَالحِكْمَةُ وَالمُكَاشَفَةُ فِي العَاقِبَةِ.

فَهَذَا هُوَ تَقْرِيرُ هَذَا المَثَلِ وَوَجْهُ انْطِبَاقِ المَثَلِ عَلَى المُمَثَّلِ بِهِ، وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ سَكَتُوا عَنْ بَيَانِ كَيْفِيَّةِ التَّمْثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ[1].

وَمِنْ جِنْسِ هَذِهِ الإِشَارَاتِ مَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ عَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ (ت١١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾[الرعد:٤] أَنَّهُ قَالَ: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِقُلُوبِ بَنِي آدَمَ، كَانَتِ الأَرْضُ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ طِينَةً وَاحِدَةً، فَسَطَحَهَا

---

(١) التفسير الكبير (ج١٩/ص٢٩)

وَبَطَحَهَا، فَصَارَتِ الأَرْضُ قِطَعًا مُتَجَاوِرَاتٍ، فَيَنْزِلُ عَلَيْهَا المَاءُ مِنَ السَّمَاءِ، فَتُخْرِجُ هَذِهِ زَهْرَتَهَا وَثَمَرَهَا وَشَجَرَهَا وَتُخْرِجُ نَبَاتَهَا وَتُحْيِي مَوَاتَهَا، وَتُخْرِجُ هَذِهِ سَبِخَهَا وَمِلْحَهَا وَخَبَثَهَا، وَكِلْتَاهُمَا تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ، فَلَوْ كَانَ المَاءُ مَالِحًا قِيلَ: إِنَّمَا اسْتَسْبَخَتْ هَذِهِ مِنْ قِبَلِ المَاءِ، **كَذَلِكَ النَّاسُ خُلِقُوا مِنْ آدَمَ، فَيَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ تَذْكِرَةٌ، فَتَرِقُّ قُلُوبٌ فَتَخْشَعُ وَتَخْضَعُ، وَتَقْسُو قُلُوبٌ فَتَلْهُو وَتَسْهُو وَتَجْفُو**.(١).

وَلِلْإِمَامِ مُجاهِدِ بْنِ جَبْرٍ (ت١٠٤هـ) رَحِمَهُ اللهُ إِشَارَةٌ فِي هَذِهِ الآيَةِ كَنَحْوِ إِشَارَةِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ (ت١١٠هـ) حَيْثُ قَالَ: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[الرعد:٤]: كَمَثَلِ صَالِحِ بَنِي آدَمَ وَخَبِيثِهِمْ، أَبُوهُمْ وَاحِدٌ(٢).

وَقَدِ ارْتَضَى الحَافِظُ البُخَارِيُّ (ت٢٥٦هـ) رَحِمَهُ اللهُ هَذِهِ الإِشَارَةَ وَأَوْرَدَهَا فِي صَحِيحِهِ دُونَ عَزْوٍ لِلْحَسَنِ وَلَا لِمُجَاهِدٍ فَقَالَ: ﴿بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾: كَصَالِحِي بَنِي آدَمَ وَخَبِيثِهِمْ، أَبُوهُمْ وَاحِدٌ(٣).

قَالَ البَدْرُ العَيْنِيُّ (ت٨٥٥هـ) رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: «**كَصَالِحِي بَنِي آدَمَ**» شَبَّهَ الصِّنْوَانَ الَّذِي أَصْلُهَا وَاحِدٌ وَغَيْرَ الصِّنْوَانِ المُتَفَرِّقَ

(١) جامع البيان (ج١٣/ص٤٩٨)

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (ج١٣/ص٤٢٨)

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الرعد.

الَّذِي لَا يَجْمَعُهُ أَصْلٌ وَاحِدٌ بِصَالِحِي بَنِي آدَمَ وَخَبِيثِهِمْ أَبُوهُم وَاحِدٌ. قَالَ الحَسَنُ: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَى لِقُلُوبِ بَنِي آدَمَ، فَقَلْبٌ يَرِقُّ وَيَخْشَعُ وَيَخْضَعُ، وَقَلْبٌ يَسْهُو وَيَلْهُو، وَالكُلُّ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَكَذَلِكَ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ مِنْهَا مَا يُخْرِجُ الطَّيِّبَ وَمِنْهَا مَا يُخْرِجُ غَيْرَ الطَّيِّبِ وَأَصْلُهُ وَاحِدٌ وَالكُلُّ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ(١).

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الخَرُّوبِيُّ **(ت٩٦٣هـ)**: وَرَدَّ بَعْضُهُمْ هَذَا المِثَالَ إِلَى الذَّوَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ، فَإِنَّهَا نَشَأَتْ عَنْ قُدْرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَاخْتَلَفَتْ أَلْوَانُهَا وَأَلْسِنَتُهَا وَأَعْمَالُهَا وَقُلُوبُهَا وَجَمِيعُ أَحْوَالِهَا الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، فَمِنْهَا حَمِيدٌ وَمِنْهَا ذَمِيمٌ(٢).

وَمِنْ جِنْسِ تِلْكَ الإِشَارَاتِ أَيْضًا مَا ذَكَرَهُ الإِمَامُ أَبُو زَكَرِيَّا الفَرَّاءُ **(ت٢٠٣هـ)** رَحِمَهُ اللهُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾**﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٩] فَقَالَ: «**لَا يَجِدُ طَعْمَهُ وَنَفْعَهُ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِهِ**»(٣).

وَارْتَضَى الحَافِظُ البُخَارِيُّ **(ت٢٥٦هـ)** هَذِهِ الإِشَارَةَ فَأَوْرَدَهَا فِي صَحِيحِهِ وَزَادَ عَلَيْهَا فَقَالَ: لا يَجِدُ طَعْمَهُ وَنَفْعَهُ إِلَّا مَنْ آمَنَ

---

(١) عمدة القاري (ج١٨/ص٣١٢)

(٢) تفسير القرآن، (ج١/ق٢٥٩/أ)

(٣) معاني القرآن للفراء (ج٣/ص١٣٠)

بِهِ، وَلَا يَحْمِلُهُ بِحَقِّهِ إِلَّا المُوقِنُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾[الجمعة:٥] الآيَةَ(١).

وَكَذَا الأُسْتَاذُ أَبُو القَاسِمِ القُشَيْرِيُّ (ت٤٦٥هـ) فِي لَطَائِفِ إِشَارَاتِهِ فَقَالَ: لَا يَجِدُ طَعْمَهُ وَبَرَكَتَهُ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِهِ(٢).

وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا ما أَوْرَدَهُ الثَّعْلَبِيُّ (ت٤٢٧هـ) عَنِ الحُسَيْنِ بْن الفَضْلِ البَجَلَيِّ (ت٢٨٢هـ) قَالَ: لَا يَعْرِفُ تَفْسِيرَهُ وَتَأْوِيلَهُ إِلَّا مَنْ طَهَّرَهُ اللَّهُ مِنَ الشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ(٣).

فَهَذِهِ المُسْتَنْبَطَاتُ أَوِ الإِشَارَاتُ أَوِ الخَوَاطِرُ الَّتِي جَرَتْ عَلَى لِسَانِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالحَسَنِ البَصْرِيِّ وَمُجَاهِدٍ وَالفَرَّاءِ وَالبُخَارِيِّ رضي الله عنهم فَتَحَتِ البَابَ لِعُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ، خُصُوصًا أَهْلَ التَّصَوُّفِ وَالزُّهْدِ الَّذِينَ بَنَوْا أَعْمَالَهُمْ عَلَى العَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ وَالْتَزَمُوا أَحْكَامَ الشَّريعةِ وَوَاظَبُوا عَلَى الآدَابِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، فَصَارُوا يَذْكُرُونَ مَا يَخْطُرُ لَهُمْ مِنَ المَعَانِي اللَّطِيفَةِ، فَوَقَعَتْ مِنْ أَفْهَامِ وَقُلُوبِ المُفَسِّرِينَ مَوْقِعًا حَسَنًا حَتَّى زَيَّنُوا بِهَا تَفَاسِيرَهُمْ.

فَفِي تَفْسِيرِ الإِمَامِ أَبِي الحَسَنِ المَاوَرْدِيُّ (ت٤٥٠هـ) عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد.

(٢) لطائف الإشارات (ج٣/ص٥٢٦)

(٣) الكشف والبيان (ج٢٥/ص٥٢٠)

إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾[البقرة: ٢٥٧] بَعْد أَنْ أَوْرَدَ مَا لِلْمُفَسِّرِينَ مِنَ المَعَانِي قَالَ: وَوَجْهٌ ثَالِثٌ لِأَصْحَابِ الخَوَاطِرِ أَنَّهُمْ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ نُورِ الحَقِّ إِلَى ظُلُمَاتِ الهَوَى[1].

وَعِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ﴾[الأنفال: ٨]، قَالَ: فِي صِفَةِ ذَلِكَ وَجْهَانِ لِأَصْحَابِ الخَوَاطِرِ: أَحَدُهُمَا: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ بالإِقْبَالِ عَلَيْهِ، ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ﴾ بِالإِعْرَاضِ عَنْهُ. الثَّانِي: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ بِالقَبُولِ، ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ﴾ بِالرَّدِّ[2].

وفِي تَفْسِيرِ الإِمَامِ أَبِي المُظَفَّرِ السَّمْعَانِي (ت٤٨٩هـ) عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء: ٧٩ - ٨١]: قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الخَوَاطِرِ: ﴿يُطْعِمُنِى﴾ طَعَامَ المَوَدَّةِ، ﴿وَيَسْقِينِ﴾ بِكَأْسِ المَحَبَّةِ. وَقِيلَ: ﴿يُطْعِمُنِى﴾ ذَوْقَ الإِيمَانِ، ﴿وَيَسْقِينِ﴾ بِقَبُولِ الطَّاعَةِ، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ بِالخَوْفِ ﴿يَشْفِينِ﴾ بِالرَّجَاءِ. وَقِيلَ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ بِالطَّمَعِ ﴿يَشْفِينِ﴾ بِالقَنَاعَةِ[3]، ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى﴾

(١) النكت والعيون (ج١/ص٣٢٩)

(٢) النكت والعيون (ج٢/ص٢٩٧)

(٣) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (ج٤/ص٥٣)

بِرُؤْيَةِ الخَلْقِ، وَ﴿يُحْيِينِ﴾ بِشَهَادَةِ الحَقِّ. وَقِيلَ: ﴿يُمِيتُنِي﴾ بِالمَعْصِيَةِ، وَ﴿يُحْيِينِ﴾ بِالطَّاعَةِ[1].

وَفِي تَفْسِيرِ الحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ (ت٧٧٤هـ) عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٧] قَالَ: «فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُلِينُ القُلُوبَ بَعْدَ قَسْوَتِهَا، وَيَهْدِي الحَيَارَى بَعْدَ ضِلَّتِهَا، وَيُفَرِّجُ الكُرُوبَ بَعْدَ شِدَّتِهَا، فَكَمَا يُحْيِي الأَرْضَ المَيِّتَةَ المُجْدِبَةَ الهَامِدَةَ بِالغَيْثِ الهَتَّانِ الوَابِلِ، كَذَلِكَ يَهْدِي القُلُوبَ القَاسِيَةَ بِبَرَاهِينِ القُرْآنِ وَالدَّلَائِلِ، وَيُولِجُ إِلَيْهَا النُّورَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُقْفَلَةً لَا يَصِلُ إِلَيْهَا الوَاصِلُ»[2].

وَقَالَ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [يس: ١٢]: «أَيْ: يَوْمَ القِيَامَةِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحْيِي قَلْبَ مَنْ يَشَاءُ مِنَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ قَدْ مَاتَتْ قُلُوبُهُمْ بِالضَّلَالَةِ، فَيَهْدِيهِمْ بَعْدَ

---

(١) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (ج٤/ص٥٤) وقريبٌ من هذا ما أجاب به شَاهٌ الكِرْمَانِيُّ (تُوُفِّيَ بَعْدَ ٢٧٠هـ) وَقَدْ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٧٨ - ٨٠] فَقَالَ: الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِي إِلَيْهِ لَا غَيْرُهُ، وَهُوَ الَّذِي يُطْعِمُنِي الرِّضَا وَيَسْقِينِي المَحَبَّةَ، وَإِذَا مَرِضْتُ بِمُشَاهَدَةِ نَفْسِي فَهُوَ يَشْفِينِي بِمُشَاهَدَتِهِ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي عَنْ نَفْسِي وَيُحْيِينِي بِهِ فَأَقُومُ بِهِ لَا بِنَفْسِي، وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ لَا يُخْجِلَنِي يَوْمَ أَلْقَاهُ بِنَظَرِي إِلَى طَاعَتِي وَأَعْمَالِي، ثُمَّ أَفْتَقِرُ إِلَيْهِ بِكُلِّيَّتِي. (اللمع في التصوف لأبي نصر الطوسي (ص٩١) طبعة ليدن ١٩١٤م)

(٢) تفسير ابن كثير (ج١٦/ص٨)

ذَلِكَ إِلَى الحَقِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِ قَسْوَةِ الْقُلُوبِ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾ [الحديد: ١٧][1].

وَهَذِهِ الإِشَارَاتُ اللَّطِيفَةُ وَالخَوَاطِرُ المَقْبُولَةُ تَتَمَيَّزُ غَايَةَ التَّمَيُّزِ ـ بِضَوَابِطِهَا الَّتِي سَنَذْكُرُهَا ـ عَنِ التَّأْوِيلَاتِ البَاطِنِيَّةِ المَذْمُومَةِ المُخَالِفَةِ لِلْقَوَاعِدِ وَالضَّوَابِطِ، كَمَا أَنَّهَا لَيْسَتْ مُلْحَقَةً بِالتَّفْسِيرِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ تَبْيِينُ مَعْنَى الكَلَامِ إِفْرَادًا وَتَرْكِيبًا اسْتِنَادًا لِلنَّقْلِ وَالسَّمَاعِ، وَلَا بِالتَّأْوِيلِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ صَرْفُ الكَلَامِ إِلَى بَعْضِ مُحْتَمَلَاتِهِ بِتَرْجِيحِهِ عَلَى سَائِرِ مَا عَدَاهُ لِدَلِيلٍ دَعَا إِلَيْهِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالدِّرَايَاتِ المُفَصَّلَةِ فِي عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ.

وَلِهَذَا قَالَ العَلَّامَةُ ابْنُ عَاشُورٍ (ت١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَمَّا مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَهْلُ الإِشَارَاتِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ فِي بَعْضِ آيَاتِ القُرْآنِ مِنْ مَعَانٍ لَا تَجْرِي عَلَى أَلْفَاظِ القُرْآنِ ظَاهِرًا، وَلَكِنْ بِتَأْوِيلٍ وَنَحْوِهِ، **فَيَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَدَّعُونَ أَنَّ كَلَامَهُمْ فِي ذَلِكَ تَفْسِيرٌ لِلْقُرْآنِ**، بَلْ يَعْنُونَ أَنَّ الآيَةَ تَصْلُحُ لِلتَّمَثُّلِ بِهَا فِي الغَرَضِ المُتَكَلَّمِ فِيهِ، وَحَسْبُكُمْ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ سَمَّوْهَا «**إِشَارَاتٍ**» وَلَمْ يُسَمُّوهَا مَعَانِيَ، فَبِذَلِكَ فَارَقَ قَوْلُهُمْ قَوْلَ البَاطِنِيَّةِ»[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (ج٦/ص٥٦٥)

(٢) التحرير والتنوير (ج١/ص٣٤) دار سحنون للنشر.

وَقَدْ تَكَفَّلَ أَئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ بِبَيَانِ مَا تَتَمَيَّزُ بِهِ الإِشَارَاتُ وَاللَّطَائِفُ المَذْكُورَةُ عَنِ التَّأْوِيلَاتِ البَاطِنِيَّةِ المَذْمُومَةِ، وَمَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى شَرْطَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ:

[١] - إِقْرَارُ المَعَانِي الظَّاهِرَةِ عِنْدَ أَيِمَّةِ التَّفْسِيرِ وَعَدَمُ نَقْضِهَا:

قَالَ الإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الغَزَالِيُّ(ت٥٠٥هـ) رَحِمَهُ اللهُ: إِنَّمَا يَنْكَشِفُ لِلرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ مِنْ أَسْرَارِ القُرْآنِ بِقَدْرِ غَزَارَةِ عُلُومِهِمْ، وَصَفَاءِ قُلُوبِهِمْ، وَتَوَفُّرِ دَوَاعِيهِمْ عَلَى التَّدَبُّرِ، وَتَجَرُّدِهِمْ لِلطَّلَبِ، وَيَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ حَدٌّ فِي التَّرَقِّي إِلَى دَرَجَةٍ أَعْلَى مِنْهُ، فَأَمَّا الاسْتِيفَاءُ فَلَا مَطْمَعَ فِيهِ، وَلَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا وَالأَشْجَارُ أَقْلَامًا فَأَسْرَارُ كَلِمَاتِ اللَّهِ لَا نِهَايَةَ لَهَا، فَتَنْفَدُ الأَبْحُرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمِنْ هَذَا الوَجْهِ يَتَفَاوَتُ الخَلْقُ فِي الفَهْمِ بَعْدَ الاشْتِرَاكِ فِي مَعْرِفَةِ ظَاهِرِ التَّفْسِيرِ، وَظَاهِرُ التَّفْسِيرِ لَا يُغْنِي عَنْهُ، فَهَذِهِ خَوَاطِرُ تُفْتَحُ لِأَرْبَابِ القُلُوبِ، وَلَا يَدُلُّ تَفْسِيرُ ظَاهِرِ اللَّفْظِ عَلَيْهَا، **وَلَيْسَتْ مُنَاقِضَةً لِظَاهِرِ التَّفْسِيرِ، بَلْ هِيَ اسْتِكْمَالٌ لَهُ وَوُصُولٌ إِلَى لُبَابِهِ عَنْ ظَاهِرِهِ**، فَهَذَا مَا نُرِيدُهُ بِفَهْمِ المَعَانِي البَاطِنَةِ، لَا مَا يُنَاقِضُ الظَّاهِرَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ(١).

وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ عِنْدَ ذِكْرِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ

(١) راجع إحياء علوم الدين (ج٢/ص٣٣٨ - ٣٣٩)

نَجَسٌ﴾[التوبة: ٢٨]: الطَّهَارَةُ وَالنَّجَاسَةُ غَيْرُ مَقْصُورَةٍ عَلَى الظَّوَاهِرِ المُدْرَكَةِ بِالحِسِّ، فَالمُشْرِكُ قَدْ يَكُونُ نَظِيفَ الثَّوْبِ مَغْسُولَ البَدَنِ، وَلَكِنَّهُ نَجِسُ الجَوْهَرِ، أَيْ بَاطِنُهُ مُلَطَّخٌ بِالخَبَائِثِ، وَالنَّجَاسَةُ عِبَارَةٌ عَمَّا يُجْتَنَبُ وَيُطْلَبُ البُعْدُ مِنْهُ، وَخَبَائِثُ صِفَاتِ البَاطِنِ أَهَمُّ بِالاجْتِنَابِ فَإِنَّهَا مَعَ خُبْثِهَا فِي الحَالِ مُهْلِكَاتٌ فِي المَآلِ، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: «**لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ**»(١)، وَالقَلْبُ بَيْتٌ هُوَ مَنْزِلُ المَلَائِكَةِ وَمَهْبِطُ أَثَرِهِمْ وَمَحَلُّ اسْتِقْرَارِهِمْ، وَالصِّفَاتُ الرَّدِيَّةُ مِثْلُ الغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ وَالحِقْدِ وَالحَسَدِ وَالكِبْرِ وَالعُجْبِ وَأَخَوَاتِهَا كِلَابٌ نَابِحَةٌ، فَأَنَّى تَدْخُلُهُ المَلَائِكَةُ وَهُوَ مَشْحُونٌ بِالكِلَابِ؟!.

ثُمَّ قَالَ: وَلَسْتُ أَقُولُ: المُرَادُ بِلَفْظِ البَيْتِ هُوَ القَلْبُ، وَبِالكَلْبِ هُوَ الغَضَبُ وَالصِّفَاتُ المَذْمُومَةُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ: هُوَ تَنْبِيهٌ عَلَيْهِ، **وَفَرْقٌ بَيْنَ تَغْيِيرِ الظَّوَاهِرِ إِلَى البَوَاطِنِ وَبَيْنَ التَّنْبِيهِ عَلَى البَوَاطِنِ مِنْ ذِكْرِ الظَّوَاهِرِ مَعَ تَقْرِيرِ الظَّوَاهِرِ**، فَفَارَقَ البَاطِنِيَّةَ بِهَذِهِ الدَّقِيقَةِ، فَإِنَّ هَذَا طَرِيقُ الاعْتِبَارِ، وَهُوَ مَسْلَكُ العُلَمَاءِ وَالأَبْرَارِ، إِذْ مَعْنَى الاعْتِبَارِ أَنْ تَعْبُرَ مِمَّا ذُكِرَ إِلَى غَيْرِهِ، فَلَا تَقْتَصِرْ عَلَيْهِ، كَمَا يَرَى العَاقِلُ مُصِيبَةً لِغَيْرِهِ فَيَكُونُ لَهُ فِيهَا عِبْرَةٌ بِأَنْ يَعْبُرَ مِنْهَا إِلَى التَّنَبُّهِ لِكَوْنِهِ أَيْضًا عُرْضَةً لِلْمَصَائِبِ، وَكَوْنِ الدُّنْيَا بِصَدَدِ الانْقِلَابِ، فَعُبُورُهُ مِنْ غَيْرِهِ إِلَى نَفْسِهِ وَمِنْ نَفْسِهِ إِلَى أَصْلِ الدُّنْيَا

(١) البخاري (٣٢٢٥) ومسلم (٢١٠٦)

عِبْرَةٌ مَحْمُودَةٌ[(١)].

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو القَاسِمِ البُرْزُلِيُّ (ت٨٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: وَسَمِعْتُ شَيْخَنَا الإِمَامَ ابْنَ عَرَفَةَ (ت٨٠٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: إِنْ تَرَكَ القَوْمُ اللَّفْظَ عَلَى ظَاهِرِهِ وَيَسْتَنْبِطُونَ أَشْيَاءَ أُخْرَى - **مَعَ إِقْرَارِهِمْ بِمَا يُوجِبُهُ التَّفْسِيرُ** - فَلَا بَأْسَ بِهَذَا، وَإِنْ حَمَلُوا الكَلَامَ عَلَى غَيْرِ ظَاهِرِهِ وَحَقِيقَتِهِ وَفَسَّرُوهُ بِمَا يَظْهَرُ لَهُمْ فَلَا يَنْبَغِي مِثْلُ هَذَا»[(٢)].

وَقَالَ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ ابْنُ عَطَاءِ اللهِ السَّكَنْدَرِيُّ (ت٧٠٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعْلَمْ أَنَّ تَفْسِيرَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ لِكَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ بِالمَعَانِي الغَرِيبَةِ **لَيْسَ إِحَالَةً لِلظَّاهِرِ عَنْ ظَاهِرِهِ**، وَلَكِنْ ظَاهِرُ الآيَةِ مَفْهُومٌ مِنْهُ مَا جُلِبَتِ الآيَةُ لَهُ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ فِي عُرْفِ اللِّسَانِ، وَثَمَّ أَفْهَامٌ بَاطِنَةٌ تُفْهَمُ عِنْدَ الآيَةِ وَالحَدِيثِ لِمَنْ فَتَحَ اللهُ قَلْبَهُ. وَقَدْ جَاءَ أنه ﷺ قَالَ: «**لِكُلِّ آيَةٍ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ وَحَدٌّ وَمُطَّلَعٌ**»[(٣)]، فَلَا يَصُدَّنَّكَ

---

(١) إحياء علوم الدين (ج١/ص١٨٢ - ١٨٣)

(٢) فتاوى البرزلي (ج٦/ص٤٥٢)

(٣) يشير إلى الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَلِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مُطَّلَعٌ**».
قَالَ البِقَاعِيُّ: الظَّهْرُ: مَا كَانَ فَهْمُهُ ظَاهِرًا مِنَ الكَلَامِ. وَالبَطْنُ: مَا اخْتُصَّ بِفَهْمِهِ الفَطِنُ مِنَ المَعَانِي الَّتِي لَا يُوصَلُ إِلَيْهَا إِلَّا بِالتَّأَمُّلِ. وَالحَدُّ غَايَةُ مَا يُنْتَهَى إِلَيْهِ مِنَ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ، فَإِنَّ الحَدَّ طَرَفُ الشَّيْءِ. وَالمُطَّلَعُ: الطَّرِيقُ المُوصِلُ إِلَى ذَلِكَ الحَدِّ. فَالمُرَادُ مِنْهُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُخَاطِبْنَا بِشَيْءٍ إِلَّا وَفَهْمُهُ مُمْكِنٌ، إِمَّا لِلْكَافَّةِ، أَوْ لِلْخَاصَّةِ، أَوْ لِخَاصَّةِ الخَاصَّةِ الَّذِينَ يُطْلِعُهُمُ اللهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ الطَّرِيقِ المُوصِلِ إِلَى الحَدِّ، وَاللهُ أَعْلَمُ. (مصاعد النظر، ج١/ص٣٧٥).

عَنْ تَلَقِّي هَذِهِ المَعَانِي مِنْهُمْ أَنْ يَقُولَ لَكَ ذُو جَدَلٍ وَمُعَارَضَةٍ: «هَذَا إِحَالَةٌ لِكَلَامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَامِ رَسُولِهِ ﷺ»؛ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِإِحَالَةٍ، وَإِنَّمَا كَانَ يَكُونُ إِحَالَةً لَوْ قَالُوا: لَا مَعْنَى لِلْآيَةِ إِلَّا هَذَا، وَهُمْ لَمْ يَقُولُوا ذَلِكَ، **بَلْ يُقِرُّونَ الظَّوَاهِرَ عَلى ظَوَاهِرِهَا مُرَاداً بِهَا مَوْضُوعَاتُهَا**، وَيَفْهَمُونَ عَنِ اللهِ تَعَالَى مَا أَفْهَمَهُمْ»[1].

وَقَالَ العَلَّامَةُ التَّفْتَازَانِيُّ (ت٧٩١هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ بَعْضُ المُحَقِّقِينَ بِأَنَّ **النُّصُوصَ عَلَى ظَاهِرِهَا** وَمَعَ ذَلِكَ فِيهَا إِشَارَاتٌ خَفِيَّةٌ إِلَى دَقَائِقَ تَنْكَشِفُ عَلَى أَرْبَابِ السُّلُوكِ، **يُمْكِنُ التَّطْبِيقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الظَّوَاهِرِ المُرَادَةِ**، فَهِيَ مِنْ كَمَالِ الإِيمَانِ وَمَحْضِ العِرْفَانِ»[2].

وَقَالَ الإِمَامُ زَرُّوقٌ (ت٨٩٩هـ) رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوَاعِدِهِ عِنْدَ ذِكْرِ طَرِيقَةِ أَهْلِ القِسْمِ الثَّالِثِ فِي اقْتِبَاسِ العُلُومِ النَّافِعَةِ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: قَوْمٌ أَثْبَتُوا المَعَانِي، وَحَقَّقُوا المَبَانِي، وَأَخَذُوا الإِشَارَةَ مِنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ أَوْ مِنْ بَاطِنِ المَعْنَى، وَهُمُ الصُّوفِيَّةُ المُحَقِّقُونَ وَالأَئِمَّةُ المُدَقِّقُونَ، لَا البَاطِنِيَّةُ الَّذِينَ حَمَلُوا الكُلَّ عَلَى الإِشَارَةِ، فَهُمْ لَمْ يُثْبِتُوا مَعْنًى وَلَا عِبَارَةً، فَخَرَجُوا عَنِ المِلَّةِ وَرَفَضُوا الدِّينَ كُلَّهُ، نَسْأَلُ اللَّهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ بِمَنِّهِ[3].

---

(١) لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري (ص١٠٤ ـ ١٠٥)

(٢) شرح العقائد النسفية (ص١٠٦)

(٣) تأسيس القواعد والأصول (ص١٣٨)

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: شَأْنُ الصُّوفِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ إِثْبَاتُ الإِشَارَةِ مَعَ الإِقْرَارِ بِالحُكْمِ وَتَقْرِيرِهِ[1].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: إِثْبَاتُ أَصْلِ الحُكْمِ لَازِمٌ، وَالإِشَارَةُ مَعَهُ لَا تُمْنَعُ، وَالانْتِزَاعُ فِي اتِّسَاعِ المَعْنَى لَا يُدْفَعُ، وَالحَقِيقَةُ لَا تُرْفَعُ، وَحَمْلُ الكَلَامِ عَلَى وَجْهٍ أَعَمَّ أَتَمُّ[2].

وَبِنَاءً عَلَى هَذَا الشَّرْطِ الأَسَاسِيِّ لَمَّا قِيلَ لِلْإِمَامِ ابْنِ عَرَفَةَ (ت٨٠٣هـ) فِي مَجَالِسِ تَفْسِيرِهِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]: وَفِيهَا رَدٌّ عَلَى الصُّوفِيَّةِ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ الأَلْفَاظَ عَلَى خِلَافِ ظَاهِرِهَا، **أَجَابَ بِقَوْلِهِ**: إِنَّهُمْ لَا يُخْرِجُونَهَا عَنِ الظَّاهِرِ بِالكُلِّيَّةِ، **بَلْ يُبْقُونَهَا عَلَى ظَاهِرِهَا** وَيَزِيدُونَ لَهَا مَعْنًى آخَرَ، وَيَقُولُونَ: يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهَا كَذَا، وَإِنَّمَا فِيهَا رَدٌّ عَلَى البَاطِنِيَّةِ[3].

[٢] - عَدَمُ مُعَارَضَةِ الإِشَارَةِ لقَاعِدَةٍ اعْتِقَادِيَّةٍ أَوْ شَرْعِيَّةٍ:

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو نَصْرٍ الطُّوسِيُّ (ت٣٧٨هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «مَا قَالَ النَّاسُ مِنْ طَرِيقِ الاسْتِنْبَاطِ وَالفَهْمِ فَالصَّحِيحُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ **لَا يُقَدِّمَ**

---

(١) الشرح الخامس عشر على الحكم (ص١١٤)

(٢) الشرح السادس عشر على الحكم (ص١٣٥)

(٣) تقييد الأبي (ج٢/ص٥٤٥)

مَا أَخَّرَ اللهُ تَعَالَى، وَلَا يُؤَخِّرَ مَا قَدَّمَ اللهُ، وَلَا يُنَازِعَ الرُّبُوبِيَّةَ، وَلَا يُخْرِجَ عَنِ العُبُودِيَّةِ، وَلَا يَكُونَ فِيهِ تَحْرِيفُ الكَلِمِ»[1].

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ (ت٦٥٦هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «لَوْ عَارَضَ كَشْفُكَ[2] الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَتَمَسَّكْ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَدَعِ الكَشْفَ، وَقُلْ لِنَفْسِكَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ ضَمِنَ لِيَ العِصْمَةَ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَمْ يَضْمَنْهَا فِي جَانِبِ الكَشْفِ وَلَا الإِلْهَامِ وَلَا المُشَاهَدَةِ، إِلَّا بَعْدَ عَرْضِهِ عَلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ[3].

فَهَذَانَ الشَّرْطَانِ مِنْ أَبْرَزِ الشُّرُوطِ المُعْتَبَرَةِ فِي قَبُولِ الإِشَارَاتِ وَالخَوَاطِرِ، وَيُمْكِنُ أَنْ نُضِيفَ إِلَيْهِمَا صِحَّةَ المَعْنَى الَّذِي أَفَادَتْهُ الإِشَارَةُ فِي نَفْسِهِ، وَوُجُودُ ارْتِبَاطٍ بَيْنَ المَعْنَى الإِشَارِيِّ وَاللَّفْظِ

---

(١) اللمع في التصوف لأبي نصر الطوسي (ص٩٠) طبعة ليدن ١٩١٤م

(٢) قَالَ الإِمَامُ السَّنُوسِيُّ (ت٨٩٥هـ): «لَيْسَ المُكَاشَفَةُ بِأَنْ يَقُولَ الوَلِيُّ المُكَاشِفُ لِغَيْرِهِ: فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، وَيَطَّلِعَ عَلَى مَا عِنْدَهُ؛ لِأَنَّ هَذَا اشْتِغَالٌ بِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ لَهَا كَبِيرُ مَوقِعٍ، وَإِنَّمَا المُكَاشَفَةُ الحَقِيقِيَّةُ أَنْ يُكَاشَفَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ بِأَنْ يَفْهَمَ كَلَامَ اللهِ تَعَالَى وَكَلَامَ رَسُولِهِ ﷺ وَيَفْهَمَ مَا تَضَمَّنَ كُلٌّ مِنْهُمَا مِنَ الأَسْرَارِ العَقْلِيَّةِ وَالأَنْوَارِ التَّوْحِيدِيَّةِ، وَيُفْتَحَ لَهُ فِي عُلُومٍ غَامِضَةٍ وَأَفْهَامٍ دَقِيقَةٍ وَحَقَائِقَ رَبَّانِيَّةٍ، وَكُلَّمَا كَرَّرَ كَلَامَ اللهِ تَعَالَى وَكَلَامَ رَسُولِهِ ﷺ تَجَدَّدَتْ لَهُ أَفْهَامٌ وَأَسْرَارٌ وَحِكَمٌ وَإِشَارَاتٌ غَيْرَ مَا فَهِمَ أَوَّلًا، وَهَكَذَا لَوْ بَقِيَ يَتْلُو أَبَدَ الأَبَدِ، فَهَذِهِ هِيَ المُكَاشَفَةُ الحَقِيقِيَّةُ الَّتِي يَزْدَادُ الإِنْسَانُ بِهَا مَعْرِفَةً وَمَحَبَّةً وَقُرْبًا مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَهَذِهِ المُكَاشَفَةُ لَا يُعْطِيهَا اللهُ تَعَالَى إِلَّا لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ». (نقله عنه تلميذه الملالي في كتابه المواهب القدوسية في المناقب السنوسية (ص ٦٦)

(٣) طبقات الشاذلية للكوهن (ص٢٢)

وَلَوْ كَانَ خَفِيًّا، وَإِفَادَةُ الإِشَارَةِ تَرْهِيبًا أَوْ تَرْغِيبًا أَوْ خَوْفًا أَوْ رَجَاءً أَوْ تَذْكِيرًا، وَأَنْ لَا يَضِيعَ بِفَقْدِهَا حُكْمٌ دِينِيٌّ أَصْلِيٌّ أَوْ فَرْعِيٌّ.

وَبِنَاءً عَلَى نَفَاسَةِ الإِشَارَاتِ وَالخَوَاطِرِ المَذْكُورَةِ تَوَجَّهَ الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ (ت٤١٢هـ) لِجَمعِ طَائِفَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْهَا أَوْدَعَهَا كِتَابَهُ المُشْتَهِرَ بِاسْمِ «**حَقَائِقِ التَّفْسِيرِ**»، وَبَثَّ بَعْضَهَا فِي رَسَائِلِهِ كَشَوَاهِدَ عَلَى مَقَامَاتِ وَأَحْوَالِ العَارِفِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى.

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: «سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ عَطَاءٍ (ت٣٦٩هـ) يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾**﴾[سبأ: ١٣] قَالَ: قَلِيلٌ مَنْ يَرَى الطَّاعَةَ مِنَّةً مِنِّي إِلَيْهِ»(١).

وَقَوْلُهُ: «سَمِعْتُ أَبَا القَاسِمِ النَّصْرَابَاذِيَّ (ت٣٦٩هـ) يَقُولُ فِي قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا**﴾ [الكهف: ٧] قَالَ: كَمَا زَيَّنَ سَمَاءَهُ بِالنُّجُومِ فَكَذَلِكَ زَيَّنَ الأَرْضَ بِالأَوْلِيَاءِ وَأَهْلِ المَعْرِفَةِ، فَهُمْ زِينَةُ البِلَادِ وَغَوْثُ العِبَادِ»(٢).

وَمِنَ الأَيِمَّةِ الأَعْلَامِ الَّذِينَ أَوْرَدَ لَهُمُ السُّلَمِيُّ جُمْلَةً وَافِرَةً مِنَ الخَوَاطِرِ وَالإِشَارَاتِ فِي حَقَائِقِهِ الشَّيْخُ الإِمَامُ **أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ الأَبْهَرِيُّ** (ت٣٣٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، وَلَمَّا مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِالوُقُوفِ عَلَيْهَا وَالعِنَايَةِ بِتَصْحِيحِهَا بِمُرَاجَعَةِ كَثِيرٍ مِنَ الأُصُولِ الخَطِّيَّةِ أَحْبَبْتُ

---

(١) المنتخب من حكايات الصوفية، ضمن مجموع رسائل للسلمي (ص٣٨)

(٢) المنتخب من حكايات الصوفية، ضمن مجموع رسائل للسلمي (ص٥٧)

جَمْعَهَا فِي كِتَابٍ مُفْرَدٍ، وَقَدَّمْتُ لَهَا بِبَعْضِ الفُصُولِ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ طَاهِرٍ، وَذِكْرِ مَا وَصَلَنَا مِنْ حِكَمِه وَأَجْوِبَتِهِ.

وَاللَّهَ تَعَالَى أَسْأَلُ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ وَيَنْفَعَنِي بِهِ وَجَمِيعَ مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا لِفَهْمِ فُهُومِ أَوْلِيَائِهِ لِكِتَابِهِ، وَالعَمَلِ بِمُحْكَمِهِ، وَالإِيمَانِ بِمُتَشَابِهِهِ، وَالدَّوَامِ عَلَى تِلَاوَتِهِ وَتَدَبُّرِهِ وَخِدْمَتِهِ، وَبِاللهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ.

نزار حمّادي

في ٢٢ ربيع الأنور ١٤٤٥هـ

تونس

فَصْلٌ

فِي تَرْجَمَةِ الإِمَامِ أَبِي بَكْرِ بْنِ طَاهِرٍ

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ (ت٤١٢هـ) وَهُوَ أَقْدَمُ مَنْ تَرْجَمَ لَهُ: أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ الأَبْهَرِيُّ، اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِر بْنِ حَاتِمٍ الطَّائِي، كَانَ مِنْ أَجَلِّ المَشَايِخ بِالجَبَلِ، وَهُوَ مِنْ أَقْرَانِ الشِّبْلِي، كَانَ عَالِمًا وَرِعًا، صَحِبَ يُوسُفَ بْنَ الحُسَيْن، ورافَق مُظَفَّرًا القِرْمِيسِينيِّ وَغَيْرَهُمَا مِنَ المَشَايِخ، مَاتَ قرب الثَّلَاثِينَ وثلاثمائة (٣٣٠هـ) وَأَسْنَدَ الحَدِيثَ[١].

وَقال الشيخ أبو يعلى الخليلي (ت٤٤٦هـ) : أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرِ بْنِ حَاتِمٍ الطَّائِيُّ أَحَدُ العُبَّادِ وَالزُّهَّادِ، عَالِمٌ بِالْعُلُومِ، وَهُوَ مِنْ أَئِمَّةِ مَنْ يَتَصَوَّفُ. لَهُ إِشَارَاتٌ وَكَرَامَاتٌ.

سَمِعَ بِالعِرَاقِ الحَارِثَ بْنَ أَبِي أُسَامَةَ، وَإِسْمَاعِيلَ القَاضِيَ، وَالكُدَيْمِيَّ وَأَقْرَانَهُمْ، وَبِمَكَّةَ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ، وَالدَّبَرِيَّ، بِصَنْعَاءَ. قَدِمَ قَزْوِينَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ (٣٢٨هـ) فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ كِبَارُ أَصْحَابِ الحَدِيثِ، وَكَتَبُوا عَنْهُ، وَحَدَّثَنِي عَنْهُ جَدِّي وَجَمَاعَةٌ، وَمَاتَ بَعْدَ الثَّلَاثِينَ.

---

(١) راجع طبقات الصوفية (ص٢٩٦)

سَمِعْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ يُوسُفَ الصُّوفِيَّ، يَقُولُ: قَالَ لِي أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ الأَبْهَرِيُّ: «**يَا بُنَيَّ، إِنَّ أَمْرَنَا هَذَا بُنِيَ عَلَى البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالجُوعِ وَالمَذَلَّةِ فِي هَذِهِ الدَّارِ الفَانِيَةِ**»[1].

وَقَالَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ الذَّهَبِيُّ (ت٧٤٨هـ): أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ الأَبْهَرِيُّ، هُوَ مُحَمَّدٌ، وَقِيلَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ الطَّائِيُّ، أَوْحَدُ مَشَايِخِ أَبْهَرَ. كَانَ فِي أَيَّامِ الشِّبْلِيِّ، وَيَتَكَلَّمَ عَلَى عِلْمِ الظَّاهِرِ وَعِلْمِ الحَقِيقَةِ، **وَكَانَ مَقْبُولًا عَلَى جَمِيعِ الأَلْسِنَةِ**. كَتَبَ الحَدِيثَ الكَثِيرَ وَرَوَاهُ[2].

---

(١) الإرشاد في معرفة علماء الحديث (ج٢/ص٧٧٣)

(٢) تاريخ الإسلام (ج٧/ص٦٢٠)

فَصْلٌ
في حِكَمِ أبي بَكْرِ بْنِ طَاهِر

قَالَ رضي الله عنه: **«لَا يَصْلُحُ الكَلَامُ إِلَّا لِرَجُلٍ إِذَا سَكَتَ خَافَ العُقُوبَةَ بِسُكُوتِهِ»**[١].

وَقَالَ رضي الله عنه: **«احْتِيَاج الأَشْرَارِ إِلَى الأَخْيَارِ صَلَاح الطَّائِفَتَيْنِ، وَاحْتِيَاجُ الأَخْيَارِ إِلَى الأَشْرَارِ فِتْنَةُ الطَّائِفَتَيْنِ[٢]»**[٣].

وقَالَ رضي الله عنه: **«مِنْ حُكْمِ الفَقِير أَن لَا يَكُونَ لَهُ رَغْبَةٌ، فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فَلَا تُجَاوِزُ رَغْبَتُهُ كِفَايَتَهُ»**[٤].

---

(١) الأربعين في شيوخ الصوفية (ص٢٢٠) للإمام المحدّث أبي سعد الماليني (ت٤١٢هـ)

(٢) طبقات الصوفية (ص٢٩٧) قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ». (الترمذي: ٢٣١٧) قال الغزاليُّ: وحدُّ ما لا يعنيكَ أن تتكلَّمَ بكلِّ ما لو سكتَّ عنه لم تأثمْ ولم تتضرَّرْ في حالٍ ولا مآلٍ. (الإحياء، ج٥/ص٤٠٧)

(٣) قال الشيخ نجم الدين الغزي (ت١٠٦١هـ): وبيانُه أنَّ الحاجَة إذَا اضْطَرَّت الأشرارَ إلى الأخْيارِ أوْقَعتْ في قلوبهم تَوْقِيرَ الأخْيار والصّالحِين ومَحَبَّتَهُم، وبذلك صَلاحُهم، ثمَّ إن اضْطِرارَهُم إلى الأخْيار يُورِثُ الرَّحمةَ في قلوب الأخيارِ والشَّفقةَ عليْهِم، ويبْذُلون الجُهْدَ في نصيحتهم وإرشادِهم، فتَصْلُح الطائفتان جميعاً. فأمَّا إذا اضْطَرَّتِ الحاجَةُ الأخيارَ إلى الأشْرارِ ألْجَأتِ الأخْيارَ إلى مُداراتِهم ومودَّتِهم، والتَّقرُّب لقلوبهم، وترْك الإنكارِ عليهم، وأوْهمَتِ الأشْرارَ خيْرِيَّة أنْفُسِهم وتزْكِيتَها، والتَّكبُّر والافتِخار، فتَفْسُد الطائفتان ويُفْتَنون. (حسن التنبه لما ورد في التشبّه، ج٣/ص١٤٩)

(٤) طبقات الصوفية (ص٢٩٧)، أورده السهروردي عوارف المعارف (ج٢/ص٣٤٤)

وقَالَ رضي الله عنه: «مَا قَدْرُ الطَّاعَاتِ تُقَابِلُ بِهَا نِعَمَهُ؟! وَمَا قَدْرُ الذُّنُوبِ تُقَابِلُ بِهَا كَرَمَهُ؟! إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ ذُنُوبُنَا فِي كَرَمِهِ أَقَلَّ مِنْ طَاعَاتِنَا فِي نِعَمِهِ؛ إِذْ لَا يُذْنِبُ العَبْدُ مِنَ الذُّنُوبِ مَا يَغْمُرُ بِهِ عَفْوَ مَوْلَاهُ»(١).

وقَالَ رضي الله عنه: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ تَوْحِيداً لَا يَعْجِزُ عَنْ هَدْمِ مَا قَبْلَهُ مِنْ كُفْرٍ، وَمَحَّصَ مَا بَعْدَهُ مِنْ ذَنْبٍ»(٢).

وقَالَ رضي الله عنه: «مَا أَحْبَبْتَ أَنْ تَنْجُوَ مِنْهُ بِعَمَلِكَ فَإِلَى حُبِّكَ لَهُ تُشِيرُ، حَتَّى إِذَا أَحْبَبْتَ أَنْ تَنْجُوَ مِنْهُ فِي عَمَلِكَ فَإِلَى حُبِّهِ لَكَ تُشِيرُ»(٣).

وقَالَ رضي الله عنه: «ذَنْبٌ يَظْهَرُ بِهِ كَرَمُكَ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَمَلٍ يَظْهَرُ بِهِ شَرَفِي»(٤).

---

(١) حلية الأولياء (ج١٠/ص٣٥١) المختار من مناقب الأخيار (ج٣/ص٤٥٥)

(٢) حلية الأولياء (ج١٠/ص٣٥٢) المختار من مناقب الأخيار (ج٣/ص٤٥٥)

(٣) المختار من مناقب الأخيار (ج٣/ص٤٥٥)

(٤) حلية الأولياء (ج١٠/ص٣٥٢) المختار من مناقب الأخيار (ج٣/ص٤٥٦)

وقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قومٌ سَأَلُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِأَلْسِنَةِ الأَعْمَالِ، وَقَوْمٌ سَأَلُوهُ بِأَلْسِنَةِ الرَّحْمَةِ، فَكَمْ بَيْنَ مَنْ سَأَلَ رَبَّهُ بِرَبِّهِ وَبَيْنَ مَنْ رَجا رَبَّهُ بِعَمَلِهِ؟! وَلَيْسَ مَنْ رَجَا رَبَّهُ بِجُودِهِ كَمَنْ رَجَا رَبَّهُ بِنَفْسِهِ»[١].

وقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «المَوَدَّةُ مِنَ المَحَبّة مِثْلُ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ، وَمِثْلُ العَيْنِ مِنَ الوَجْهِ، وَذَلِكَ أَنَّ المَوَدَّةَ حَالَةٌ فِي الجَوَارِحِ تُبْدِي عِنْدَ الرُّؤْيَةِ السُّرُورَ، وَالاضْطِرَابَ وَالكَآبَةَ عِنْدَ الفَقْدِ، وَالكَمَدَ عِنْدَ البُعْدِ، فَحَالَاتُ الوُدِّ حَالَاتٌ لَا تُدَانِيهَا الأَحْبَابُ»[٢].

وقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَقِيقَةُ المَحَبَّةِ الجَمْعُ دُونَ التَّفْرِقَةِ، فَإِذَا جَمَعْتَ قُلْتَ: اللهُ لَا سِوَاهُ، وَإِذَا فَرَّقْتَ نَظَرْتَ إِلَى الأَكْوَانِ، وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الجَمْعِ لَمْ يَرَ إِلَّا المَحْبُوبَ فَقَالَ: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[٣]، وَعِنْدَ التَّفْرِقَةِ رَأَى أُمَّتَهُ فَقَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً»[٤]، يَعْنِي لِأُمَّتِهِ لِمَا كُشِفَ لَهُ عَنْ مَعَاصِيهِمْ»[٥].

---

(١) المختار من مناقب الأخيار (ج٣/ص٤٥٦)

(٢) المختار من مناقب الأخيار (ج٣/ص٤٥٧)

(٣) مسلم (٤٨٦)

(٤) مسلم (٢٧٠٢)

(٥) لوامع أنوار القلوب (ص٤٨٤) لعبد الملك شَيْذَلَة (ت٤٩٤هـ)

وقَالَ رضي الله عنه: «إِذَا أَحْبَبْتَ أَخًا فِي اللَّهِ فَأَقِلَّ مُخَالَطَتَهُ فِي الدُّنْيَا»[1].

وقَالَ رضي الله عنه: «فِي المِحَنِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: تَطْهِيرٌ، وَتَكْفِيرٌ، وَتَذْكِيرٌ؛ فَالتَّطْهِيرُ مِنَ الكَبَائِرِ، وَالتَّكْفِيرُ مِنَ الصَّغَائِرِ، وَالتَّذْكِيرُ لِأَهْلِ الصَّفَاءِ»[2].

وقَالَ رضي الله عنه: «التَّوَكُّل أَنْ لَا تَعْجزَ عَنْ حُكْمِ وَقْتِكَ، وَالمَعْرِفَةُ أَنْ لَا تُضَيِّعَ وَقْتَكَ»[3].

وقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ شَقَّ عَلَيْهِ ركُوبُ الأَهْوَالِ، وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِ رُكُوبُ الأَهْوَالِ لَا يرتَقِي إِلى سُمُوِّ المَعَالِي فِي الأَحْوَالِ»[4].

وَقَالَ رضي الله عنه: «الصُّوفِيُّ لَا يَرْضَى مِنَ اللَّهِ بِالكَوْنَيْنِ؛ لِأَنَّ مَنْ رَضِيَ مِنْهُ بِغَيْرِهِ خَابَ وَخَسِرَ»[5].

---

(١) طبقات الصوفية (ص٢٩٧)
(٢) طبقات الصوفية (ص٢٩٨)
(٣) طبقات الصوفية (ص٢٩٨)
(٤) طبقات الصوفية (ص٢٩٨)
(٥) تهذيب الأسرار (ص٣٥)

وقال ﵁: «الهِمَمُ ضُرُوبٌ: فَهِمَّةُ التَّائِبِينَ إِصْلَاحُ مَا أَفْسَدُوا، وَهِمَّةُ المُرِيدِينَ الظَّفَرُ بِالإِخْلَاصِ، وَهِمَّةُ الخَائِفِينَ الوُصُولُ إِلَى أَمَانِهِمْ، وَهِمَّةُ الوَرِعِينَ نَفْيُ كُلِّ مُشْتَبِهٍ، وَهِمَّةُ الزَّاهِدِينَ مُخَالَفَةُ الهَوَى، وَهِمَّةُ الشَّاكِرِينَ بَذْلُ المَجْهُودِ فِي شُكْرِ المُنْعِمِ، وَهِمَّةُ الصَّادِقِينَ إِتْمَامُ كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ البِرِّ، وَهِمَّةُ الصَّالِحِينَ الطَّاعَةُ بِلَا مَعْصِيَةٍ، وَهِمَّةُ العُلَمَاءِ المَزِيدُ فِي الصَّوَابِ، وَهِمَّةُ الرَّاضِينَ قَطْعُ الاخْتِيارِ، وَهِمَّةُ الحُكَمَاءِ الاطِّلَاعُ عَلَى بَوَاطِنِ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَهِمَّةُ العَارِفِينَ إِعْظَامُ اللَّهِ تَعَالَى فِي قُلُوبِهِمْ، وَهِمَّةُ المُحِبِّينَ اتِّصَالُ المَحَبَّةِ، وَهِمَّةُ أَهْلِ الشَّوْقِ سُرْعَةُ المَوْتِ، وَهِمَّةُ المُقَرَّبِينَ دَوَامُ سُكُونِ القَلْبِ إِلَى اللَّهِ ﻷ»(١).

---

(١) تهذيب الأسرار (ص٧٦)

فَصْلٌ
في مَسَائِلِ أبي بَكْرِ ابْنِ طَاهِر

وَسُئِلَ رضي الله عنه عَنْ قوْلِ الشَّافِعِيِّ: «العِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمُ الأَبْدَانِ، وَعِلْمُ الأَدْيَانِ». فَقَالَ: **عِنْدَ العَوَامِّ أَنَّ عِلْمَ الأَدْيَانِ هُوَ ظَاهِرُ الفِقْهِ، وَعِلمَ الأَبْدَانِ هُوَ ظَاهِرُ الطِّبِّ، وَعِنْدَ الحُكَمَاءِ أَنَّ عِلْمَ الأَدْيَانِ هُوَ عِلْمُ مُشَاهَدَةِ القُلُوبِ بِالمُعَامَلَاتِ فِي صُنْعِ اللَّهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَهُوَ الفِقْهُ النَّافِعُ، وَعِلْمَ الأَبْدَانِ هُوَ ظَاهِرُ أَوَامِرِ اللَّهِ ـ تَعَالَى ذِكْرُهُ ـ وَنَوَاهِيهِ فِي الحَلَالِ وَالحَرَامِ، وَهُوَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ الطِّبُّ النَّافِعُ، فَعِلْمُ القُلُوبِ عَيْنُ الإِسْلَامِ وَحَقَائِقُهُ، وَعِلْمُ الأَبْدَانِ هُوَ آدَابُ الإِسْلَامِ وَشَرَائِعُهُ**[1].

وَسُئِلَ رضي الله عنه: مَا بَالُ الإِنْسَان يحْتَمل مِن مُعَلِّمِه مَا لَا يحْتَمل من أَبَوَيْهِ؟ فَقَالَ: «**لِأَن أَبَوَيْهِ سَبَبُ حَيَاته الفانِيَة، ومُعَلِّمَه سَببُ حَيَاتِه البَاقِيَة**»[2].

(١) مناقب الشافعي للبيهقي (ج٢/ص١١٥)

(٢) طبقات الصوفية (ص٢٩٧)

وَسُئِلَ رضي الله عنه: عَنِ الحَقِيقَة فَقَالَ: «**الحَقِيقَةُ كُلُّهَا عِلْمٌ**»، فَسُئِلَ عَنِ العِلْمِ فَقَالَ: «**وَالعِلْمُ كُلُّهُ حَقِيقَةٌ**»(١).

وَسُئِلَ رضي الله عنه: إِلَى مَاذَا أَشَارَ القَوْمُ بالجَمْعِ وَالتَّفْرِقَةِ(٢)؟ فَقَالَ: «**أَشَارَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُ جَمَعَهُمْ فِي آدمَ عليه السلام وَفَرَّقَهُمْ فِي ذُرِّيَّتِهِ، وَأَشَارَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُ جَمَعَهُمْ فِي المَعْرِفَةِ، وَفَرَّقَهُمْ فِي الأَحْوَالِ**»(٣).

وَسُئِلَ رضي الله عنه عَنِ الإِغَانَةِ(٤) فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ أَطْلَعَ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم عَلَى مَا يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْخِلاَفِ، وَمَا يُصِيبُهُمْ فِيهِ، فَكَانَ إِذَا ذَكَرَ ذَلِكَ وَجَدَ غَيْنًا فِي قَلْبِهِ فَاسْتَغْفَرَ لِأُمَّتِهِ**»(٥).

وَسُئِلَ رضي الله عنه مَنِ الكَرِيمُ؟ فقَالَ: «**الَّذِي كَرُمَ بِطَبْعِهِ عَنِ التَّدَنُّسِ بِشَيْءٍ مِنْ مُخَالَفَةِ رَبِّهِ**»(٦).

---

(١) اللمع للطوسي (ص٢٨٦) طبقات الصوفية (ص٢٩٧) اللمع (ص٢١٦) وعوارف المعارف (ج٢/ص٥٥٤) قال الإمام زرُّوق: «يَجِبُ إرْجَاعُ الإلْهَام لِمَا تَقَرَّر مِن الأحْكَام؛ إذْ لَا تَحْقِيقَ لَهُ إِلَّا بِهَا، وَمِنْ ثَمَّ قِيل: الحَقِيقَةُ كُلُّهَا عِلْمٌ، وَالعِلْمُ كُلُّهُ حَقِيقَةٌ». (مفتاح الإفادة، ص٣٨٢)

(٢) قال الشيخ عبد الملك الخركوشي (ت٤٠٧هـ) في باب ذكر الألفاظ المتداولة فيما بين الصوفية مما له أصْلٌ في الكتاب والسُّنة: الجَمْعُ: التَّسْويةُ في أصْلُ الخِلْقَة. والتَّفْرِقَةُ: هو التفريق في الحُكْم. (تهذيب الأسرار، ص٤٣٨)

(٣) اللمع للطوسي (ص٢١٢) والثاني أورده الخركوشي في تهذيب الأسرار (ص٣٨٠)

(٤) يعني قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي» الحديث أخرجه مسلم (٢٧٠٢)

(٥) الجامع لشعب الإيمان (ج٩/ص٢٥٠)

(٦) الجامع لشعب الإيمان (ج١٣/ص٣٤٤)

وَسُئِلَ رضي الله عنه عَنِ السَّمَاعِ فَقَالَ: «**لَذَّةٌ كَسَائِرِ اللَّذَّاتِ، وَتَرْكُهُ أَوْلَى لَا مَحَالَةَ**»[1].

وقال: «**يُحَرِّكُ الوَاجِدِينَ عِنْدَ السَّمَاعِ احْتِرَاقُ الأَحْشَاءِ، وَلَهَبُ القُلُوبِ، وَتَقَطُّعُ الأَكْبَادِ مِنَ البُعْدِ بَعْدَ القُرْبِ**»[2].

وَسُئِلَ رضي الله عنه عن مَعْنَى حَدِيثِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «**المُؤْمِنُ يَأْكلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعاءٍ**»: فقَالَ: «**لِلْعَبْدِ سَبْعَةُ أَمْعَاءٍ، وَاحِدٌ مِنْهَا طَبْعٌ، وَسِتَّةٌ حِرْصٌ، فَالمُؤْمِنُ يَأْكُلُ بِمِعًى الطَّبْعِ، وَالكَافِرُ يَأْكُلُ بِأَمْعَاءِ الحِرْصِ وَالطَّمَعِ**»[3].

---

(١) تهذيب الأسرار (ص٣٣٣)

(٢) تهذيب الأسرار (ص٣٤٥)

(٣) المنتخب من كتاب الزهد والرقائق للخطيب البغدادي (ص٥٨)

فَصْلٌ
فِي إِشَارَاتِ أَبِي بَكْرِ بْنِ طَاهِرٍ

سُورَةُ البَقَرَةِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ٣].

قَالَ أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ: أَشَارَ الحَقُّ إِلَى إِخْلَاصِ عِبَادِهِ المُخْلِصِينَ بِأَنَّهُمْ بَذَلُوا لِمَحْبُوبِهِمْ قُلُوبَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، وَبَذَلُوا لَهُ نُفُوسَهُمْ بِالخِدْمَةِ وَالعُبُودِيَّةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وَبَذَلُوا لَهُ مَا مَلَّكَهُمْ فَلَمْ يَبْخَلُوا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عِلْمًا بِأَنَّهَا عَوَارٍ فِي أَيْدِيهِمْ، وَهُوَ تَعَالَى المَالِكُ لَهَا وَلَهُمْ عَلَى الحَقِيقَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١).

(١) تكميل حقائق التفسير (ص٨)

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾[آل عمران: ٧٣].

قَالَ أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ: لَا تُصَدِّقُوا ظُهُورَ الكَرَامَةِ عَلَى أَحَدٍ مَا لَمْ تَتَبَيَّنُوا أَوَائِلَهُ وَرِيَاضَتَهُ وَمُحَافَظَتَهُ عَلَى ظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ(١).

(١) حقائق التفسير (ج١/ص١٠٢) هذه الإشارة وافَقَتِ احتمالًا في الآيةِ ذكرَهُ القرطبيُّ وهو «أن تكون كلُّها خطابًا للمؤمنين مِن الله تعالى على جهة التثبيت لقُلوبهم والتشحيذ لبصائرهم؛ لئلا يشكُّوا عند تلبيسِ اليهود وتزويرهم في دينهم، والمعنى: لا تصدقوا يا مَعْشَر المؤمنين إلا مَنْ تَبعَ دِينَكُمْ، ولا تُصَدِّقُوا أنْ يُؤْتَى أحد مثل ما أوتيتم مِن الفَضْل والدين، ولا تُصَدِّقُوا أن يحاجَّكُم في دينكم عند رَبِّكُم مَنْ خالفكم أو يَقْدِرُ على ذلك، فإنَّ الهُدى هُدَى الله، وإنّ الفَضْلَ بِيَدِ الله». (الجامع، ج٤/ص١١٤)

سُورَةُ النِّسَاءِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٥][١].

قَالَ أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ: يَخْرُجُ مِنَ الكَوْنَيْنِ إِقْبَالًا مِنْهُ عَلَى الحَقِّ[٢].

---

(١) عباراتُ المفسرين في قوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ تدُور حَوْلَ معاني إخْلاصِ القَصْدِ والتَّوَجُّهِ، قال الطبريُّ: «انْقَادَ لَهُ بِالطَّاعَةِ مُصَدِّقًا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ. (جامع البيان، ج٧/ص٥٢٨) وقال البغويُّ: أي: أَخْلَصَ عمَلَهُ لله. وقيل: فوَّضَ أَمْرَهُ إلى الله.(معالم التنزيل، ج١/ص٧٠٥)

(٢) حقائق التفسير (ج١/ص١٦١) قال القُشيريُّ (ت٤٦٥هـ): يَعْنِي: أَفْرَدَ قَصْدَهُ إلى الله، وأَخْلَصَ عَقْدَهُ لِلَّهِ عَمَّا سِوَى الله، ثُمَّ اسْتَسْلَم في عُمومِ أحْوالِهِ لِلَّهِ بِاللَّهِ، ولَمْ يَدَّخِرْ شَيْئًا عنِ اللهِ، لَا مِن مالِه ولَا مِنْ جَسَدِه، ولَا مِنْ رُوحِه ولا مِنْ جِلْدِه، ولَا مِنْ أَهْلِهِ ولَا مِنْ وَلدِه، وَكذلك كان حالُ إبراهيم عليه السلام. (لطائف الإشارات، ج١/ص٣٦٧)
قال الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ): أَهْلُ السُّنَّة هم الَّذِين فَوَّضُوا التَّدْبيرَ والتَّكْوينَ والإبْداعَ والخَلْقَ إلى الحَقِّ سبحانه وتعالى، واعْتَقَدُوا أَنَّه لا مُوجِدَ ولَا مُؤَثِّرَ إلا اللَّهُ، فهُمُ الَّذِين أَسْلَمُوا وُجُوهَهُمْ لِلَّهِ، وعَوَّلُوا بالكُلِّيَّةِ على فَضْلِ اللَّهِ، وانْقَطَع نَظَرُهم عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّا سِوَى اللهِ. (التفسير الكبير، ج١١/ص٤٥)

سُورَةُ المَائِدَةِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾[المائدة: ٤٤].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: الرَّبَّانِيُّونَ[١] هُمُ الصَّحَابَةُ الَّذِينَ أَخَذُوا كَلَامَ الرَّبِّ عَنِ السَّفِيرِ الأَعْلَى وَالوَاسِطَةِ الأَدْنَى[٢]، وَالأَحْبَارُ[٣] هُمْ عُلَمَاءُ الأُمَّةِ العَامِلُونَ بِعِلْمِهِمْ[٤].

---

(١) قال مُجاهدٌ: الرَّبانِيُّون: هُم الفقهاءُ العُلماءُ، وهم فَوْقَ الأحبارِ. (التفسير من سنن سعيد بن منصور، رقم: ٧٦٧)

(٢) قصدَ نبيَّنا مُحَمَّدًا ﷺ، قال سَهْلٌ التستريُّ (ت٢٨٢هـ) في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[إبراهيم: ٣٤]: إن تَعُدُّوا نِعْمَة اللهِ عَلَيْكُمْ بمُحَمَّدٍ ﷺ لا تُحْصُوهَا بأنْ جَعَلَ السَّفِيرَ بينكُمْ وبينَهُ السَّفِيرَ الأَعْلَى والواسطةَ الكبرى. (تفسير سَهْلٍ، ص٨٠)

(٣) قال البغوي (ت٥١٠هـ): الأحبارُ: العلماءُ، واحدهمْ حَـبْرٌ بفتح الحاء وكَسْرها، والكسرُ أفْصَح، وهو العالِمُ المُحْكِمُ للشيءِ. قيل: هو من الحِبْر الذي يُكْتَب به، وقيل: هو من الحَبْر بمعنى الجمالِ، فسمي العالِمُ حَبْرًا لما عليه من جمالِ العلمِ وبهائِهِ. (انظر معالم التنزيل، ج٢/ص٥٤)

(٤) حقائق التفسير (ج١/ص١٧٨)

سُورَةُ الأَنْعَامِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢][1].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أَيْ: لَمْ يَرْجِعُوا فِي النَّوَائِبِ وَالمُهِمَّاتِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ[2]، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾

---

(١) الظُّلْمُ في هذا المَوْضِع الشِّرْكُ كما دلّ على ذلك الأحاديث الصحيحة، ففي البخاري (٦٩١٨) لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النبيِّ ﷺ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ، أَلاَ تَسْمَعُونَ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]. انتهى. وهذا هو شِركُ الاعتقادِ وهو الشِّركُ الأكْبر، وحقيقته اعتقادُ فاعِلٍ سوى اللهِ أو مَعَهُ، ويترَتَّبُ على ذلك عبادةُ ذلك الغَيْرِ وتعظيمُهُ والذُّلُّ والخضوع له مع اعتقادِ اتصافهِ ولو بلازمٍ من لَوَازِمِ الربوبيَّةِ.

(٢) الرُّجُوعُ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالى في النَّوَائِبِ والمُهِمَّاتِ يَصْدُقُ عليه أنه ظُلْمٌ باعتبار أَنَّهُ مُخَالَفَةٌ لأمْرِ اللَّهِ بالرُّجُوعِ إِلَيْهِ مُطْلَقًا؛ في السَّرّاءِ بالشُّكْر وفي الضَّراءِ بالصَّبْر، قالَ ﷻ: ﴿وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف: ١٦٨]، وباعتبار أنَّه وَضْعٌ للشَّيْءِ في غير مَوْضِعِه وهو الالْتِجَاءُ للأسْبابِ ونَحْوِهَا عِنْدَ المُلِمَّاتِ، وهذا قد يُطْلَق عليهِ شِرْكُ الاستنادِ، وقد فسَّرهُ الإمام زَرُّوقٌ بقَوْلِه: هو نِسْبَةُ الفِعْلِ لِذَلِكَ الشَّيْءِ مِنْ حَيْثُ شَوَاهِدُ الأَحْوَالِ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ مَثَلًا: مَنِ الَّذِي رَزَقَكَ؟ قَالَ: اللَّهُ، وَلَكِنْ لَوْلَا ٱلَّذِي جَاءَ مِنْ قِبَلِهِ مَا كَانَ، وَلَوْلَا الأَسْبَابُ مَا كَانَتِ المُسَبَّبَاتُ فِي الجُمْلَةِ. فَمِنْ جِهَةِ التَّلْزِيمِ كَانَ مُشْرِكًا، وَمِنْ جِهَةِ التَّحْقِيقِ فَهْوَ مُؤْمِنٌ يَقْدَحُ شِرْكُهُ هَذَا فِي يَقِينِهِ دُونَ إِيمَانِهِ؛ لِثُبُوتِ حَقِيقَةِ المُعْتَقَدِ عِنْدَهُ. (الشرح الحادي عشر على الحكم العطائية، ص٣٧٤)

وَالكِفَايَاتُ ، ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ رَاجِعُونَ إِلَى مَنْ إِلَيْهِ المَرْجِعُ[1].

---

(١) حقائق التفسير (ج١/ص٢٠٦) ونحوه في لطائف القشيريِّ (ت٤٦٥هـ) حيث قال: أي الَّذِين أَشَارُوا إلى اللهِ ثُمَّ لمْ يَرْجِعُوا إلى غَيْرِ اللهِ، فَإِنَّ مَنْ قالَ: «الله» ثم رجع بالتَّفْصِيل عندَ حاجاتِهِ أو مطالباتِهِ أَوْ شيْءٍ من حالاته إلى غير الله فخَصْمُهُ في الدُّنْيا والعُقْبى اللهُ. والظُّلْمُ في التَّحْقيق: وَضْعُ الشَّيْء في غيْرِ مَوْضِعه، وأصْعَبُهُ حُسْبانُ الحَدَثانِ مِمَّا لمْ يَكُنْ فكانَ ؛ فإنّ المُنْشِئَ اللهُ، والمُجْرِيَ اللهُ، ولَا إله إلا الله، وسَقَطَ ما سِوَى اللهِ. (لطائف الإشارات، ج١/ص٤٨٦)

سُورَةُ الأَعْرَافِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾[الأعراف: ١٤٢].

قِيلَ لأَبِي بَكْرِ بْنِ طَاهِرٍ: مَا بَالُ مُوسَى لَمْ يَجُعْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا حِينَ أَرَادَ أَنْ يُكَلِّمَ رَبَّهُ[(١)]، وَجَاعَ فِي نِصْفِ يَوْمٍ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَلْقَى الخَضِرَ فَقَالَ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾[الكهف: ٦٢] الآيَةَ؟

قَالَ: لِأَنَّهُ فِي الأَوَّلِ أَنْسَاهُ هَيْبَةُ الوُقُوفِ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ الشَّرَابَ وَالطَّعَامَ، وَالثَّانِي كَانَ سَفَرَ التَّأْدِيبِ، فَزَادَ البَلَاءُ عَلَى البَلَاءِ حَتَّى جَاعَ فِي أَقَلَّ مِنْ نِصْفِ يَوْمٍ، وَالأَوَّلُ كَانَ أَوْقَاتَ الكَرَامَةِ[(٢)].

---

(١) قال ابنُ كثير (ت٧٧٤هـ): ذكرَ تعالى أنه واعَد موسى ثلاثين ليلةً، قال المفسّرون: فصامها موسى عليه السلام وطوَاهَا، فلما تمَّ الميقاتُ استاكَ بلِحاء شجرة فأمرَهُ الله تعالى أن يكملَ بعشرٍ أربعين. (تفسير القرآن، ص٢/ص٢٩٧)

(٢) حقائق التفسير (ج١/ص٢٣٧) وقد لخّص القُشيري (ت٤٦٥هـ) هذا المعنى بقوله: كان موسى عليه السلام في هذا السّفر مُتَحَمِّلًا، وَكان سفرَ تأديبٍ واحتمالِ مشَقَّةٍ، لأنه ذهب لاستِكثار العِلْم، وحالُ طلَبِ العِلْم حالُ تأْديبٍ ووَقْتُ تَحَمُّلِ المَشقَّة، ولهذا لَحِقَهُ الجُوعُ، فقال: ﴿لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ٦٢﴾[الكهف: ٦٢]، وحينَ صامَ في مُدَّةِ انتظارِ سَماعِ الكلامِ مِن اللَّهِ صبَرَ ثلاثِين يومًا ولَمْ يَلْحقْهُ جُوعٌ ولا مشقَّةٌ؛ لأن ذهابه في هذا السَّفرِ إلى الله، وَكانَ مَحْمُولًا. (لطائف الإشارات، ج٢/ص٤٠٦)

سُورَةُ الأَنفَالِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[الأنفال: ٢ ـ ٤](١).

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: اجْتَمَعَ فِيهِمْ أَشْيَاءُ صَارَ إِيمَانُهُمْ بِهَا حَقِيقَةً: التَّعْظِيمُ لِلْمَذْكُورِ، وَاليَقِينُ بِالمَأْمُورِ، وَالتَّوَكُّلُ فِي المَأْمُولِ، وَإِقَامَةُ المُفْتَرَضِ، وَإِنْفَاقُ المِلْكِ، وَهَذِهِ أَوْصَافُ المُتَحَقِّقِينَ فِي الإِيمَانِ.

وَقَالَ: حَقِيقَةُ الإِيمَانِ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ: بِاليَقِينِ، وَالإِخْلَاصِ، وَالخَوْفِ، وَالرَّجَاءِ، وَالمَحَبَّةِ؛ فَبِاليَقِينِ يُخْرَجُ مِنَ الشَّكِّ، وَبِالإِخْلَاصِ يُخْرَجُ مِنَ الرِّيَاءِ، وَبِالخَوْفِ يُخرَجُ مِنَ المَكْرِ، وَبِالرَّجَاءِ يُخْرَجُ مِنَ القُنُوطِ، وَبِالمَحَبَّةِ يُخْرَجُ مِنَ الوَحْشَةِ وَالحَيْرَةِ(٢).

***

(١) قال القُشيري (ت٤٦٥هـ): لا يَرْضوْنَ في أعْمالِهم بإخلالٍ، ولا يتَّصِفونَ بجَمْع مالٍ مِنْ غَيْرِ حَلال، ولا يعرِّجُون في أوطان التَّقْصير بحالٍ، أولئك الَّذين صِفَتُهم أنْ لا يَكُونَ للشَّريعةِ علَيْهِمْ نَكِيرٌ، ولا لهمْ عنْ أحْكامِ الحَقيقَةِ مَعْدِلٌ ومَحِيدٌ. (لطائف الإشارات، ج٢/ص٤٠٦)

(٢) تكميل حقائق التفسير (ص٤٩)

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: يَحُولُ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ وَبَيْنَ قُلُوبِهِمْ، يَسْلِبُهَا مِنْهُمْ وَيُحيِيهَا لَهُمْ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَلْبُ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ إِصْبِعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ**[(١)]» [(٢)].

---

(١) مسلم (٢٦٥٤)

(٢) حقائق التفسير (ج١/ص٢٦٥)

سُورَةُ التَّوْبَةِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: دَعَا الرَّسُولُ ﷺ بِأَخَصِّ الأَسْمَاءِ وَأَرْفَعِهَا، وَقَدَّمَ اسْمَهُ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ، وَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾[الشعراء: ٦٢]، فَدَعَا بِاسْمِ التَّرْبِيَةِ وَهُوَ مِنْ عُمُومِ الأَسَامِي، وَقَدَّمَ اسْمَهُ عَلَى اسْمِ رَبِّهِ فَقَالَ: ﴿مَعِيَ رَبِّي﴾، فَلِذَلِكَ عَصَمَ اللَّهُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنِ الشِّرْكِ، وَابْتَلَى أُمَّةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعِبَادَةِ العِجْلِ(١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة: ١١٩].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: مَعَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُمْ فِي طَاعَتِهِ، وَخَلُصَتْ سَرَائِرُهُمْ لِمَوَارِدِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ(٢).

(١) تكميل حقائق التفسير (ص٥١)

(٢) تكميل حقائق التفسير (ص٥٤)

سُورَةُ هُودٍ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[هود: ١٧].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: مَنْ كَانَ مِنْ رَبِّهِ عَلَى بَيِّنَةٍ كَانَتْ جَوَارِحُهُ وَقْفًا عَلَى الطَّاعَاتِ وَالمُوَافَقَاتِ، وَلِسَانُهُ مَزْمُومًا بِالذِّكْرِ وَنَشْرِ الآلَاءِ وَالنَّعْمَاءِ، وَقَلْبُهُ مُنَوَّرًا بِأَنْوَارِ التَّوْفِيقِ وَضِيَاءِ التَّحْقِيقِ، وَسِرُّهُ وَرُوحُهُ مُشَاهِدًا لِلْحَقِّ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ، عَالِمًا بِمَا يَبْدُو مِنْ مَكْنُونِ الغُيُوبِ وَمَسْتُورِهِ، رُؤْيَتُهُ لِلْأَشْيَاءِ رُؤْيَةُ يَقِينٍ لَا شَكَّ فِيهِ، وَحُكْمُهُ عَلَى الخَلْقِ كَحُكْمِ الحَقِّ، لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِحَقٍّ، وَلَا يَرَى إِلَّا بِحَقٍّ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَغْرِقٌ فِي الحَقِّ، فَأَنَّى لَهُ مَرْجِعٌ إِلَّا إِلَى الحَقِّ، وَلَا إِخْبَارٌ إِلَّا عَنْهُ[١].

(١) حقائق التفسير (ج١/ص٣١٦)

سُورَةُ يُوسُفَ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: لَمَّا اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ وَأَقَرُّوا بِالجِنَايَةِ بِقَوْلِهِمْ: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١﴾ [يوسف: ٩١]، قَالَ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢]، وَهَذَا مِنْ شَرْطِ الكَرَمِ أَنْ يَعْفُوَ إِذَا قَدَرَ، وَيَقْبَلَ عُذْرَ مَنِ اعْتَذَرَ(١).

(١) تكميل حقائق التفسير (ص٦٥)

سُورَةُ الرَّعْدِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: ﴿خَوْفًا﴾ مِنِ اعْتِرَاضِ الكُدُورَةِ فِي صَفَاءِ المَعْرِفَةِ، ﴿وَطَمَعًا﴾ فِي المُلَازَمَةِ فِي إِخْلَاصِ المُعَامَلَةِ[١].

(١) حقائق التفسير (ج١/ص٣٢٩) قال القشيري (ت٤٦٥هـ): كما يُرِيهم البرْقَ في الظاهر فيَكُونون بيْنَ خوْفٍ وطمَعٍ، خوفًا من احتِباس المطر وطمعًا فى مجيئه، وخوفًا للمسافرين مِن مجيء المطر وطمع للمقيم فِي مجيئه، كذلك يُريهم البَرْقَ في أَسْرَارِهم بما يُبْدِي فيها من اللَّوَائح ثُمَّ اللَّوَامِع ثم كالبرُوق في الضِّياء. (لطائف الإشارات، ج٢/ص٢١٩)

سُورَةُ الحِجْرِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحجر: ١٦].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: لَمَّا جَعَلَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا لِيُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ وَزَيَّنَهَا لِلنَّاظِرِينَ، كَذَلِكَ جَعَلَ فِي القُلُوبِ بُرُوجًا يَهْتَدِي بِهَا العَارِفُ إِلَى رَبِّهِ.

فَمِنْ ذَلِكَ: بُرْجُ الخَوْفِ، وَبُرْجُ الرَّجَاءِ، وَبُرْجُ التَّوَكُّلِ، وَبُرْجُ التَّفْوِيضِ، وَبُرْجُ التَّسْلِيمِ، وَبُرْجُ اليَقِينِ، وَبُرْجُ المَعْرِفَةِ، وَبُرْجُ المَحَبَّةِ.

فَكُلُّ بُرْجٍ مِنْ هَذِهِ البُرُوجِ طَرِيقٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا السَّالِكُونَ فِيهَا وَالعَامِلُونَ بِهَا.

وَكَمَا زَيَّنَ تِلْكَ البُرُوجَ لِلنَّاظِرِينَ، زَيَّنَ بُرُوجَ القُلُوبِ لِلنَّاظِرِينَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَالعَامِلِينَ بِأَوَامِرِ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ، وَالعَارِفِينَ بِحَالِهِمْ وَمَحَلِّهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ (١).

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٦٥)

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ بِمُخَاطَبَاتِ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ(١).

***

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: كُلُّ نَفْسٍ تَتْبَعُ أَثَرَ القَلْبِ وَهِمَّتِهِ(٢).

***

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ١٠٥﴾ [الإسراء: ١٠٥].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: تُبَشِّرُهُمْ بِرَحْمَتِنَا، وَتُنْذِرُهُمْ بِسَخَطِنَا(٣).

---

(١) حقائق التفسير (ج١/ص٣٩١)

(٢) حقائق التفسير (ج١/ص٣٩٥) فكل ما ظهر من الأفعال والأقوال والأحوال في العبادات وغيرها ظهر على حسب فَهْمِ العبدِ وعِلْمِه من الله تعالى بإفهامه وإعلامه، وهو أيضا على قدْر هِمَّتِهِ به أو شغله به أو بما سواه.

(٣) حقائق التفسير (ج١/ص٣٩٨)

سُورَةُ الكَهْفِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾[الكهف: ١٨].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: لِأَنَّهُمْ كَانُوا مَأْخُوذِينَ عَنْ أَوْصَافِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ، وَأَنْتَ بِأَوْصَافِكَ تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، فَلَوْ طَالَعْتَهُمْ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ لَشَاهَدْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ الأَنْوَارِ الَّتِي وَرَدَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَفْنَاهُمْ عَنْ أَوْصَافِهِمْ(١)، فَكَانَتِ الحَقِيقَةُ فِي الفِرَارِ مِنَّا، لَا مِنْهُمْ(٢).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾[الكهف: ٥٩].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: لَمَّا لَمْ يَشْكُرُوا نِعَمَ اللَّهِ عِنْدَهُمْ، وَلَمْ

---

(١) قال الطبريُّ: ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾[الكهف: ١٨].يقول: ولمُلِئْتْ نفسُكَ من اطلاعِكَ عليهم فزعًا لما كان اللهُ ألبسَهُمْ من الهَيْبَةِ كي لا يَصِلَ إلَيْهِمْ وَاصِلٌ. (جامع البيان، ج١٥/ص١٩٤)

وقال ابْنُ عَطاءٍ: إنه وردتْ عليهم أنوارُ الحقِّ مِن فنونِ الخِلَع، وأظَلَّتْهُم سُرادقات التعظيم، وأحْدَقَتْ بهم جلابيب الهَيْبَةِ، لذلك قال لنبيه ﷺ: ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾[الكهف: ١٨]. (حقائق التفسير، ج١/ص٤٠٦)

وقال جعفرٌ: لو اطَّعَلْتَ على ما بِهم مِن آثارِ قُدْرَتِنا ورِعايَتِنا لهم وتوْلِيَةِ حياطتهم ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ أي: ما قَدَرْتَ على الثَّباتِ لِمُشَاهدةِ ما بهم مِنْ هَيْبَتِنا، فيكون حقيقَةُ الفِرار مِنَّا لا منهم؛ لأن مَا يُرَى علَيْهِمْ مِنَّا. (حقائق التفسير، ج١/ص٤٠٦)

(٢) تكميل حقائق التفسير (ص٨٣)

يُقَابِلُوا البَلَاءَ بِالصَّبْرِ وَالرِّضَا[1].

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: كَانَ مُوسَى ـ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ـ يَنْهَى الخَضِرَ عَنْ مَنَاكِيرَ فِي الظَّاهِرِ وَإِنْ كَانَ لِلْخَضِرِ فِيهِ عِلْمٌ، لَكِنْ ظَاهِرُ العِلْمِ مَا كَانَ يَأْمُرُهُ بِهِ مُوسَى عليه السلام، فَلَمَّا نَهَاهُ عَنِ المَعْرُوفِ بِقَوْلِهِ: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ [الكهف: ٧٧] وَرَدَّهُ إِلَى الطَّمَعِ قَالَ: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨][2].

---

(١) حقائق التفسير (ج١/ص٤١٣)

(٢) تكميل حقائق التفسير (ص٨٦) ومن فوائد قصَّةِ موسى مع الخضر عليهما السلام أن لا يُعْجَب المَرْءُ بعِلْمه، ولا يبادرَ إلى إنكارِ ما لا يستحسنُهُ فلعلَّ منه سِرًّا لا يَعلمُهُ، وأن يداومَ على التعلُّمِ، ويُراعِيَ الأدَبَ في المقالِ.

سُورَةُ مَرْيَمَ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾[مريم: ٢١].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: فِي هَذِهِ الآيَةِ عَلَامَةٌ دَالَّةٌ عَلَى تَصْحِيحِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَرَحْمَةٌ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَلَمْ يَدَّعِ فِيهِ مَا لَمْ يَدَّعِهِ لِنَفْسِهِ.

وَقَالَ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾[مريم: ٢١]: بِرَحْمَتِهِ نَجَّا أُمَمًا مِنَ الكُفْرِ، وَبِرَحْمَتِهِ أَهْلَكَ أُمَمًا فِي الكُفْرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِعِيسَى: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾، فَبِتِلْكَ الرَّحْمَةِ أُهْلِكَ خَلْقٌ حَتَّى قَالُوا: ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَحَتَّى قَالَ فِيهِ اليَهُودُ مَا قَالُوا(١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾[مريم: ٢٣].

قَالَ أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ: أَيْ: يَا لَيْتَنِي مِتُّ فِي أَيَّامِ كِفَايَةِ التَّوَكُّلِ قَبْلَ أَنْ رُدِدْتُ إِلَى عَنَاءِ الطَّلَبِ(٢).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾[مريم: ٤٦ - ٤٧].

---

(١) حقائق التفسير (ج١/ص٤٢٣)

(٢) حقائق التفسير (ج١/ص٤٢٤) ونحوه قول القشيري (ت٤٦٥هـ): ويقال: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾[مريم: ٢٣]: في الوَقْتِ الذي لم يَكُنْ قلْبِي متعلِّقًا بالأسباب. (لطائف الإشارات، ج٢/ص٤٢٥)

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: لَمَّا بَدَا مِنْهُ كَلَامُ الجُهَّالِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى آلِهَتِهِ وَالوَعِيدِ عَلَى ذَلِكَ إِنْ خَالَفَهُ جَعَلَ جَوَابَهُ جَوَابَ الجُهَّالِ بِالسَّلَامِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣][١].

(١) حقائق التفسير (ج١/ص٤٢٧)

سُورَةُ طه

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه: ١٧].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: انْبَسَطَ إِلَيْهِ فِي السُّؤَالِ لِيَرْبِطَ عَلَى قَلْبِهِ لِعِلْمِهِ بِمَا يَبْدَهُهُ فِي شُهُودِ الكِبْرِيَاءِ(١).

وَقَالَ أَيْضًا: أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَنْبَسِطَ مُوسَى فِي الكَلَامِ كَيْ لَا يَحْتَشِمَ فِي السُّؤَالِ(٢).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾﴾ [طه: ٢٥].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: ضَاقَ صَدْرُ مُوسَى بِخِطَابِ الآدَمِيِّينَ بَعْدَ مَوْقِفِهِ مَعَ رَبِّهِ وَكَلَامِهِ، فَلَمَّا أَرْسَلَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ قَالَ: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ هَوِّنْ عَلَيَّ مُخَاطَبَةَ غَيْرِكَ بَعْدَ أَنْ أَسْعَدْتَنِي بِخِطَابِكَ(٣).

* * *

---

(١) ونحوُه قول القشيري (ت٤٦٥هـ): ويُقال: إنّما قال ذلك لأنَّه صَحِبَتْهُ هَيْبَةُ المقام عند فَجْأةِ سَماعِ الخِطاب، فسكَّنَ بعضَ ما به من بَوادِهِ الجَلال بِأَنْ رَدَّهُ إلى سماع ذِكْر العَصا وأَرَاهُ ما فيها من الآيات. ويقال: لو ترَكَهُ على ما كان عليه مِن غلبَاتِ الهَيْبَةِ لعَلَّهُ كان لا يَبْقَى ولا يُطِيقُ ذلك. (لطائف الإشارات، ج٢/ص٤٢٥)

(٢) حقائق التفسير (ج١/ص٤٣٨)

(٣) حقائق التفسير (ج١/ص٤٤١)

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[طه: ٣٩].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: أَحْبَبْتُكَ فَحَبَّبْتُكَ إِلَى أَحِبَّائِي[١].

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾[طه: ١٣١].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: هُوَ القَنَاعَةُ بِمَا تَمْلِكُهُ، وَالزُّهْدُ فِيمَا لَا تَمْلِكُهُ[٢].

---

(١) حقائق التفسير (ج١/ص٤٤٣) ونحوُه قول القشيري (ت٤٦٥هـ): ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ أي: أحْبَبْتُكَ، ويقال في لفظ الناس: فلانٌ ألْقَى محبَّته على فلانٍ أي: أحبَّهُ. ويقال: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ أي: طرَحْتُ في قلوب الناسِ محبَّةً لَك، فالحقُّ إذا أحبَّ عبداً فكلُّ ما شاهدَهُ أحبَّهُ. (لطائف الإشارات، ج٢/ص٤٥٦)

(٢) حقائق التفسير (ج١/ص٤٥٣) ونحوُه قول القشيري (ت٤٦٥هـ): القليلُ من الحلالِ وفيه رِضَى الرَّحمنِ خَيْرٌ من الكثير مِن الحرام والحُطام ومعه سخَطُه. ويقال: قليلٌ يُشْهِدُكَ ربَّكَ خَيْرٌ مِن كثيرٍ يُنْسِيكَ ربَّك. (لطائف الإشارات، ج٢/ص٤٨٨)

سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖ﴾[الأنبياء: ٨٤].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: أَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَشْفِ الضُّرِّ عَنْهُ، وَذَلِكَ الضُّرُّ هُوَ مَا كَانَ يَجِدُ مِنْ ضَعْفِ نَفْسِهِ عَنِ القِيَامِ بِخِدْمَةِ مَوْلَاهُ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ قُوَّتَهُ لِيَقُومَ لَهُ بِحُسْنِ الخِدْمَةِ، وَهُوَ كَشْفُ الضُّرِّ(١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء: ١٠٧].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: زَيَّنَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِزِينَةِ الرَّحْمَةِ، فَكَانَ كَوْنُهُ رَحْمَةً، وَنَظَرُهُ إِلَى مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ رَحْمَةٌ، وَسَخَطُهُ(٢) وَرِضَاهُ وَتَقْرِيبُهُ وَتَبْعِيدُهُ وَجَمِيعُ شَمَائِلِهِ وَصِفَاتِهِ رَحْمَةٌ عَلَى الخَلْقِ.

فَمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ رَحْمَتِهِ فَهُوَ النَّاجِي فِي الدَّارَيْنِ ـ أَجْمَعَ ـ

---

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص١٣)

(٢) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ ﷺ: «إِنِّي ٱشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى البَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ البَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ، أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ». (مسلم: ٢٦٠٣)
وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ، يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ البَشَرُ، وَإِنِّي قَدِ ٱتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ فَٱجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ القِيَامَةِ». (مسلم: ٢٦٠١/٩١) وفي رواية: «فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ فَٱجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَصَلَاةً وَرَحْمَةً». (مسلم: ٢٦٠١/٨٩)

عَنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَالوَاصِلُ فِيهِمَا إِلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ، أَلَا تَرَى اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ؟!.

فَكَانَتْ حَيَاتُهُ رَحْمَةً، وَمَمَاتُهُ رَحْمَةً[1]، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ أُمَّةٍ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا**[2]»[3].

---

(١) يشير إلى قوله ﷺ: «**حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ؛ تُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ؛ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ فَمَا رَأَيْت مِنْ خَيْرٍ حَمِدْت اللَّهَ عَلَيْهِ وَمَا رَأَيْت مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْت اللَّهَ لَكُمْ**». (رواه البزار، قال الحافظ أبو الفضل عبد الرحيم العراقي (ت٨٠٦هـ): إسنادهُ جيِّدٌ. (طرح التثريب، ج٣/ص٢٩٧)

(٢) مسلم (٢٢٨٨) عِياضٌ: الفَرَطُ بفَتْحِ الفَاءِ والرَّاءِ: الَّذِي يتَقَدّمُ الوارِدَةَ فيُهَيِّئُ لهُمْ مَا يَحْتاجُونَ إليه، والنَّبيُّ ﷺ تَقَدَّمَ أمَّتهُ ليَشْفعَ لَهُمْ. (مشارق الأنوار، ج٢/ص١٥١)

(٣) حقائق التفسير (ج٢/ص١٧)

سُورَةُ الحَجّ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣﴾ [الحج: ٧٣].

قَالَ أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ أَنْ يُدْرِكَهُ، ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ أَنْ يَفُوتَهُ[1].

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٢٧)

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: ١].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: الْمُؤْمِنُ يَكُونُ مِنْ نَفْسِهِ فِي أَمْنٍ، وَالخَلْقُ مِنْهُ فِي أَمْنٍ، وَيَأْلَفُهُ كُلُّ مَنْ يَرَاهُ، وَيَفْرَحُ بِرُؤْيَتِهِ كُلُّ مَحْزُونٍ، وَيَأْنَسُ بِهِ كُلُّ مُسْتَوْحِشٍ، وَيَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ هَائِمٍ، وَيَكُونُ لِقَاؤُهُ سَلْوَةً لِلْمَغْمُومِينَ، وَمُجَالَسَتُهُ رَحْمَةً لِلْمُرِيدِينَ، وَكَلَامُهُ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ(١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: ٣].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: كُلُّ مَا سِوَى ذِكْرِ اللَّهِ فَهُوَ لَغْوٌ(٢).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [المؤمنون: ٦٢].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: لَمْ يَسْتَوْفِ أَوْقَاتَهُمْ فِي عِبَادَتِهِ، وَإِنَّمَا وَقَّتَ لَهُمْ أَوْقَاتًا لِيَرْجِعُوا مِنْهَا إِلَى صَلَاحِ أَبْدَانِهِمْ وَتَعَهُّدِ أَحْوَالِهِمْ، وَلَمْ يُوَقِّتْ لِلْمَعْرِفَةِ وَالذِّكْرِ وَقْتًا لِئَلَّا يُغْفَلَ عَنْهُ فِي حَالٍ وَلَا يُنْسَى

---

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٣٠)

(٢) تكميل حقائق التفسير (ص١٠١) قال القشيريُّ (ت٤٦٥هـ): ما يُشْغِلُ عنِ اللهِ فهو سَهْوٌ، وما ليس لِلَّه فهو حَشْوٌ، وما ليس بمَسْمُوع أو بمَقُولٍ مَعَ اللهِ فهو لَغْوٌ، وما فيه حَظٌّ للعَبْد فهو لَهْوٌ، وما هو غيْرُ الحَقِّ سبحانه فهو كُفْر، والتعريجُ على شيْءٍ مِنْ هذا بُعْدٌ وهَجْرٌ. (لطائف الإشارات، ج٢/ص٥٦٧)

فِي حَالٍ، فَقَالَ: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣][١].

***

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المؤمنون: ٧٥].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ**: كَشْفُ الضُّرِّ هُوَ الخَلَاصُ مِنْ أَمَانِيِّ النَّفْسِ وَطُولِ الأَمَلِ وَطَلَبِ الرِّيَاسَةِ وَالعُلُوِّ وَحُبِّ الدُّنْيَا، فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ مِمَّا يُضِرُّ بِالمُؤْمِنِ[٢].

***

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: ١١١].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ**: ﴿ٱلْفَآئِزُونَ﴾: الآمِنُونَ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ[٣].

---

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٣٦).

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص٣٨).

(٣) حقائق التفسير (ج٢/ص٣٩).

سُورَةُ النُّورِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النور: ٢].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: لَا يَشْهَدُ مَوَاضِعَ التَّأْدِيبِ إِلَّا مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ التَّأْدِيبَ(١) وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا الْمُؤْمِنُونَ أَجْمَعُ(٢).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور: ٦٣](٣).

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: الفِتْنَةُ مَأْخُوذٌ بِهَا، وَالبَلَاءُ مَعْفُوٌّ عَنْهُ مُثَابٌ عَلَيْهِ(٤).

---

(١) إلى هنا نقله الماوردي مصدِّرًا بقوله: قال بعض أصحاب الخواطر. (النكت والعيون، ج٤/ص٧١)

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص٤١)

(٣) قال القشيريُّ (ت٤٦٥هـ): سعادَةُ الدارين في مُتابعَةِ السُّنَّة، وشقاوَةُ المَنْزِلَيْن في مُخالَفَةِ السُّنَّة، ومِنْ أيْسَرِ ما يُصِيبُ مَنْ خالَف سُنَّتَهُ ﷺ حِرْمانُ المُوافَقة، وتَعَذُّرُ المُتابَعة بَعْدَهُ، وسقوطُ حِشْمَة الدَّارَيْنِ عن قَلْبِه. (لطائف الإشارات، ج٢/ص٦٢٥)

(٤) عرائس البيان (ج٣/ص٢٤) وأصله من حقائق التفسير سقط من المطبوع.

سُورَةُ الفُرْقَانِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[الفرقان: ٣١].

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ طَاهِرٍ: رُفِعَتْ دَرَجَاتُ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ بِامْتِحَانِهِمْ بِالمُخَالِفِينَ وَالأَعْدَاءِ، وَابْتُلِيَ كُلُّ نَبِيٍّ بِمُخَالِفٍ وَعَدُوٍّ، وَابْتُلِيَ كُلُّ وَلِيٍّ بِمُعَانِدٍ وَمُكَابِرٍ، وَذَلِكَ لِتَمَامِ دَرَجَاتِهِمْ، وَعِظَمِ مَحَلِّهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، أَلَا تَرَى اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ [الفرقان: ٣١](١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾[الفرقان: ٤٨] (٢).

قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ طَاهِرٍ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ يُرْسِلُ إِلَى القَلْبِ رِيحًا فَيَكْنُسُهُ مِنَ المُخَالَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الكُدُورَاتِ، وَيُصَفِّيهِ لِقَبُولِ المَوَارِدِ عَلَيْهِ، فَإِذَا صَادَفَ القَلْبُ تِلْكَ الرِّيحَ وَتَنَسَّمَ نَسِيمَهَا اشْتَاقَ إِلَى

---

(١) عرائس البيان للبقلي (ج٣/ص٢٩)

(٢) قال القشيريُّ (ت٤٦٥هـ): يُرسِلُ رياحَ الكرَمِ فتَهُبُّ على قلوبِ ذَوِي الحاجاتِ فتُزْعِجُها إلى طلَبِ مَبَارِّه، ويُرْسِلُ رياحَ الوِلاية فتَهُبُّ على قلُوبِ الخواصِّ فتُطَهِّرُها عن جميع الإرادات فتُكْفَى بِاللَّهِ لِلَّهِ، ويُرْسِلُ رياحَ الخَوْفِ على قلوب العُصاةِ فيَحْمِلُهم على النَّدم ويُطَهِّرُها من الإصرارِ فتَرْجِعُ إلى التوبة، ويُرْسِل رياح الاشتياق عَلى قلوبِ الأحْبابِ فيُزعِجُها عن المُساكناتِ ويُطهِّرُها عن كلِّ شيءٍ إلا عن اللَّوائح فلا تستقِرُّ إلا بالكَشْفِ والتَّجَلِّي. (لطائف الإشارات، ج٢/ص٦٤٠)

الزَّوَائِدِ مِنْ فُنُونِ المَوَارِدِ، فَيُكْرِمُهُ اللهُ بِالمَعْرِفَةِ، وَيُزَيِّنُهُ بِالإِيمَانِ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾ [الفرقان: ٤٨](١).

(١) حقائق التفسير (ج١/ص٦٢)

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [الشعراء: ٧].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: أَكْرَمُ زَوْجٍ مِنْ نَبَاتِ الأَرْضِ آدَمُ وَحَوَّاءُ؛ فَإِنَّهُمَا كَانَا السَّبَبَ فِي إِظْهَارِ الرُّسُلِ وَالأَوْلِيَاءِ وَالأَنْبِيَاءِ وَالعَارِفِينَ(١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٩].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: لِكُلِّ نَبِيٍّ مَعَ اللَّهِ حَالٌ وَمَقَامٌ، فَمَقَامُ آدَمَ المَلَامَةُ، وَمَقَامُ إِبْرَاهِيمَ السَّلَامَةُ، وَمَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ الاسْتِقَامَةُ، فَآدَمُ لَامَ نَفْسَهُ فَقَالَ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] فَاسْتَفَادَ العَفْوَ، وَإِبْرَاهِيمُ ﴿جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: ٨٤] فَاسْتَفَادَ الخُلَّةَ، وَنَبِيُّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قِيلَ لَهُ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[هود:١١٢] فَاسْتَقَامَ فَاسْتَفَادَ المَحَبَّةَ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم: ٤]، وَأَعْظَمُ الأَخْلَاقِ خُلُقٌ يَسْتَقِيمُ عَلَى بِسَاطِ القُرْبَةِ وَحَالِ المُشَاهَدَةِ(٢).

---

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٧١)

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص٨٠)

سُورَةُ النَّمْلِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [النمل: ٦].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: إِنَّكَ لَتُلَقَّى القُرْآنَ مِنَ الحَقِّ حَقِيقَةً، وَإِنْ كُنْتَ تَأْخُذُهُ فِي الظَّاهِرِ بِوَاسِطَةِ جِبْرِيلَ(١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ مِنْ أَبِيهِ دَاوُدَ العِلْمَ، وَكَذَلِكَ كَانَتْ وِرَاثَةُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ(٢).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل: ٢١].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: لَأَكِلَنَّهُ إِلَى حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ(٣).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ [النمل: ٢٩ - ٣٠].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: لَمَّا قَالَ اللَّهُ لِلْقَلَمِ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا

---

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٨٥) وأورده الملا على القاري في تفسيره وذكر له شاهدا من قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ [الرحمن: ١ - ٢]. (أنوار القرآن وأسرار الفرقان، ج٤/ص٣٥)

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص٨٦)

(٣) حقائق التفسير (ج٢/ص٨٨)

أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، فَكَتَبَ: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ أَيْ: بِكَ ظَهَرَتْ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ لَا بِغَيْرِكَ، فَلَمَّا رَأَتْ بَلْقِيسُ كِتَابَهُ المُفْتَتَحَ بِمَا افْتُتِحَ بِهِ اللَّوْحُ المَحْفُوظُ قَالَتْ: هَذَا كِتَابٌ كَرِيمٌ(١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: أَحْسَنُ عِبَادِ اللَّهِ حَالًا مَنْ يَرَى فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي كُلِّ أَوْقَاتِهِ، وَلَا يَغْفُلُ عَنْ شُكْرِ إِنْعَامِهِ وَزَوَائِدِ مِنَنِهِ عَلَيْهِ(٢).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٩١].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: إِذَا كَانَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ فَسُؤَالُكَ شَيْئًا مِنَ الأَشْيَاءِ مِنْ عَبِيدِهِ - وَهُوَ لَا يَمْلِكُهُ - عَجْزٌ، لِمَ لَا تَسْأَلُ مَنْ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ لَعَلَّهُ يُغْنِيكَ بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ؟! فَإِنَّ مَنِ اسْتَغْنَى بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مَلَّكَهُ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ(٣).

---

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٨٩)

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص٩٠)

(٣) تكميل حقائق التفسير (ص١١٦)

سُورَةُ القَصَصِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ [القصص: ٧].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: لَا تَخَافِي خُلْفَ الوَعْدِ، وَلَا تَحْزَنِي عَلَى غَيْبُوبَةِ الوَلَدِ(١).

***

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٠﴾ [القصص: ١٠].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: فَارِغًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى ذِكْرِ مُوسَى، وَهَذَا الَّذِي أَوْجَبَ عَلَى الوَالِدَيْنِ كِتْمَانَ وَجْدِهِمْ عَلَى أَوْلَادِهِمْ مَا اسْتَطَاعُوا، فَإِذَا صَارُوا مَغْلُوبِينَ تُكْشَفُ أَحْوَالُهُمْ حِينَئِذٍ(٢).

***

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ١٨].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: ﴿خَائِفًا﴾ عَلَى قَوْمِهِ العَذَابَ، ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ لَهُمُ الهِدَايَةَ مِنَ اللَّهِ تعالى(٣).

***

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص١٠٠)

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص١٠٠)

(٣) حقائق التفسير (ج٢/ص١٠٢)

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: ﴿خَآئِفًا﴾ مِنَ اللَّهِ، ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ غَدْرَ النَّاسِ وَمَكْرَهُمْ[(١)].

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: وَرَدَ فِي الظَّاهِرِ مَاءَ مَدْيَنَ، وَوَرَدَ فِي الحَقِيقَةِ عَلَى مَالِكِ مِيَاهِ الأُنْسِ وَبَسَاتِينِ المَعْرِفَةِ، فَوَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ، أَيْ خَوَاصَّ مِنَ العِبَادِ يَرْتَعُونَ فِي تِلْكَ المَيَادِينِ[(٢)]، فَأَنِسَ بِهِمْ وَشَرِبَ مَعَهُمْ مِنْ تِلْكَ المِيَاهِ شَرْبَةً أَوْرَثَتْهُ الوُرُودَ عَلَى مُخَاطَبَةِ الحَقِّ، وَأَوْرَثَهُ شُرْبُ ذَلِكَ المَاءِ الثَّبَاتَ فِي حَالِ المُخَاطَبَةِ.

* * *

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]: وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَكَانَ مُتَوَجِّهًا إِلَى رَبِّهِ، مُفَارِقًا لِمَا دُونَهُ، مُتَّكِلًا عَلَيْهِ فِي قَصْدِهِ، مُعْتَقِدًا لِتَحَمُّلِ مَا هُوَ بِهِ، قَدْ أَثَّرَتْ فِيهِ المِحَنُ، وَأَنْكَأَ فِيهِ الضَّرَرُ، ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ظِلِّ

(١) تكميل حقائق التفسير (ص١١٦)

(٢) يشير إلى الأنبياء عليهم السلام.

الاسْتِرَاحَةِ إِلَى الحَقِّ، فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِ البَلاءُ أَنِسَ بِالشَّكْوَى وَقَالَ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٢٤﴾[القصص: ٢٤]، يُنَاجِيهِ بِلِسَانِ الافْتِقَارِ، وَلَيْسَ فِي الشَّكْوَى إِلَى المَحْبُوبِ نَقْصٌ(١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٢٤﴾[القصص: ٢٤].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: قَضَى مَا عَلَيْهِ مِنْ حَقِّ النَّصِيحَةِ لِلْخَلْقِ وَالاهْتِمَامِ لَهُمْ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ أَيْ: ثُمَّ رَجَعَ إِلَى اليَقِينِ وَالتَّوَكُّلِ، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ أَيْ: لِمَا أَبْدَيْتَ إِلَيَّ مِنْ غِنَاكَ وَفَضْلِكَ فَقِيرٌ إِلَى أَنْ تُغْنِيَنِي بِكَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاكَ(٢).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾[القصص: ٢٥].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: لِتَمَامِ إِيمَانِهَا وَشَرَفِ عُنْصُرِهَا وَكَرَمِ نَسَبِهَا أَتَتْهُ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ**(٣)»(٤).

---

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص١٠٢)

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص١٠٣)

(٣) البخاري (٢٤)

(٤) حقائق التفسير (ج٢/ص١٠٢)

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾[القصص: ٢٩].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ**: أَنِسَ سِرُّهُ بِرُؤْيَةِ النَّارِ لِمَا كَانَ فِيهَا مِنْ عَظِيمِ الشَّأْنِ وَعُلُوِّ المَرْتَبَةِ، فَأَخْرَجَ الرُّؤْيَةَ بِلَفْظِ ﴿ءَانَسْتُ﴾، أَيْ: رَأَى هَذِهِ النَّارَ رُؤْيَةَ مُسْتَأْنِسٍ بِهَا لَا مُسْتَوْحِشٍ مِنْهَا، فَدَنَا مِنْهَا فَآنَسَهُ طَهَارَةُ المَوْضِعِ وَمَا سَمِعَ فِيهِ مِنْ مُنَاجَاةِ رَبِّهِ وَكَلَامِهِ فَتَحَقَّقَ بِالأُنْسِ[1].

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾[القصص: ٣٤].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ**: لِأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ خِطَابَكَ وَلَمْ يُخَاطِبْكَ، فَهُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا مَعَ الخَلْقِ، كَيْفَ أَكُونُ مَعَهُمْ فَصِيحًا وَقَدْ سَمِعْتُ لَذَّةَ كَلَامِكَ؟! وَكَيْفَ أُخَاطِبُهُمْ مَعَ مُخَاطَبَتِكَ؟! أَوْ كَيْفَ أَجْعَلُ لَهُمْ وَزْنًا مَعَ مَا أَدْنَيْتَنِي وَخَصَصْتَنِي بِهِ؟! فَهُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا مَعَهُمْ وَأَحْسَنُ بَيَانًا لَهُمْ، فَإِنِّي لَمْ أَسْتَلِذَّ مُخَاطَبَةً بَعْدَكَ، وَلَمْ أَلْتَذَّ بِكَلَامِ غَيْرِكَ.

وَأَنْشَدَ عَلى إِثْرِهِ:

أَصَمَّنِي سِرُّهُمْ أَيَّامَ فُرْقَتِهِمْ هَلْ كُنْتَ تَعْرِفُ سِرًّا يُورِثُ الصَّمَمَا[2]

---

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص١٠٥)

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص١٠٦)

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ [العنكبوت: ٦].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: أَيْ: يُظْهِرُ عَلَى نَفْسِهِ آثَارَ العُبُودِيَّةِ وَزِينَتَهَا، لَا يَطْلُبُ بِهَا قُرْبَةً إِلَى رَبِّهِ؛ فَإِنَّ الحَقَّ لَا يُتَقَرَّبُ إِلَيْهِ إِلَّا بِهِ أَوْ بِمَا مِنْهُ(١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾[العنكبوت: ٢٩].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: لَا تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَلَا تَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ(٢).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[العنكبوت: ٤٥].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُرَدَّ ذَاكِرُهُ دُونَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ(٣).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾[العنكبوت: ٦٠].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: يَرْزُقُهَا بِحُسْنِ اليَقِينِ، وَيَرْزُقُكُمْ مَعَ

---

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص١١٥)

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص١١٦)

(٣) الخصال المكفّرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة لابن حجر (ص٣١)

قِلَّةِ اليَقِينِ(١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: لِنَهْدِيَنَّهُمُ السَّبِيلَ إِلَيْنَا(٢).

---

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص١٢٠)

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص١٢٢)

سُورَةُ الرُّومِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الروم: ١٤].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: يَتَفَرَّقُونَ كُلٌّ إِلَى مَا قُدِّرَ لَهُ مِنْ مَحَلِّ السَّعَادَةِ وَمَنْزِلِ الشَّقَاوَةِ، فَمَنْ كَانَ تَفَرُّقُهُ إِلَى جَمْعٍ كَانَ مَجْمُوعَ السِّرِّ يَنْقَلِبُ إِلَى مَحَلِّ السُّعَدَاءِ، وَمَنْ كَانَ تَفَرُّقُهُ إِلَى فُرْقَةٍ كَانَ مُتَفَرِّقَ السِّرِّ لَا يَأْلَفُ الحَقَّ أَبَدًا، وَيَرْجِعُ إِلَى مَحَلِّ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ(١).

***

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: البَرُّ اللِّسَانُ، وَالبَحْرُ القَلْبُ(٢).

---

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص١٢٤)

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص١٢٧)

سُورَةُ السَّجْدَةِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[السجدة: ١٦].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: تَجَافَتْ جُنُوبُ الزُّهَّادِ عَنْ دُنْيَاهُمْ بِعِلْمِهِمْ بِفَنَائِهَا، وَجُنُوبُ المُرِيدِينَ عَنِ الأُنْسِ بِمَا دُونَ الحَقِّ، وَجُنُوبُ العَارِفِينَ عَنِ الالْتِفَاتِ إِلَى أَحَدِ الجَنبَتَيْنِ مِنَ الكَوْنَيْنِ[١].

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ [السجدة: ٢٤].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: مَنْ صَبَرَ عَلَى أَوَامِرِ اللَّهِ وَصَبَرَ عَلَى نَوَاهِيهِ جَعَلَهُ اللهُ إِمَامًا يَهْتَدِي بِهِ المُرِيدُونَ[٢].

---

(١) تكميل حقائق التفسير (ص١٢٧)

(٢) تكميل حقائق التفسير (ص١٢٨)

سُورَةُ الأَحْزَابِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: عَلَامَةُ صَلَاةِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ[١] أَنْ يُزَيِّنَهُ بِأَنْوَارِ الإِيمَانِ، وَيُحَلِّيَهُ بِحِلْيَةِ التَّوْفِيقِ، وَيُتَوِّجَهُ بِتَاجِ الصِّدْقِ، وَيُسْقِطَ عَنْ نَفْسِهِ الأَهْوَاءَ المُضِلَّةَ وَالإِرَادَاتِ البَاطِلَةَ، وَيُبْدِلَهُ بِهَا الرِّضَا بِالمَقْدُورِ[٢].

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: لَمَّا خَيَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أَزْوَاجَهُ فَاخْتَرْنَهُ كَافَأَهُنَّ اللَّهُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى حَبِيبِهِ ﷺ قَوْلَهُ: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ [الأحزاب: ٥٢][٣].

* * *

---

(١) أي الصَّلَاة الخاصَّة الكامِلَة.

(٢) حقائق التفسير (ج

(٣) تكميل حقائق التفسير (ص١٣٣)

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾[الأحزاب: ٧٢].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: إِنَّ الأَمَانَةَ عُرِضَتْ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَأَبَوْا حَمْلَهَا وَأَشْفَقُوا مِنْ ذَلِكَ وَهَرَبُوا مِنْهَا، فَلَمَّا عُرِضَتْ عَلَى آدَمَ قَالَ: أَحْمِلُ هَذِهِ الأَمَانَةَ بِقُوَّتِي وَنَفْسِي أَمْ بِالحَقِّ؟ فَقِيلَ: بَلْ تَحْمِلُهَا بِنَا، فَإِنَّ مَا مِنَّا لَا يُحْمَلُ إِلَّا بِنَا، فَحَمَلَهَا آدَمُ[١].

---

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص١٥٢)

سُورَةُ فَاطِرٍ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

قَالَ أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ: وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُ الكَلَامَ الطَّيِّبَ(١).

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص١٥٨)

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾ [الصافات: ٤٠].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: صِحَّةُ البَقَاءِ مَعَ اللَّهِ بِإِخْلَاصِ العُبُودِيَّةِ لِلَّهِ، وَفَنَاءِ رُؤْيَةِ العَبْدِ مَعَ اللَّهِ بِفَنَاءِ حَظِّهِ مِنَ اللَّهِ[1].

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤﴾ [الصافات: ٨٤].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: القَلْبُ السَّلِيمُ: الوَاقِفُ مَعَ اللَّهِ عَلَى حَدِّ المُوَافَقَةِ، كَقَلْبِ الخَلِيلِ الَّذِي لَمْ يُخَالِفْ سَيِّدَهُ فِي حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ[2].

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص١٧٦)

(٢) تكميل حقائق التفسير (ص١٤٢)

سُورَةُ صٓ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ﴾ [ص: ٢٠].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ**: بِالعَقْلِ وَالتَّأَنِّي(١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠﴾ [ص: ٢٠].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ**: مُخَالَطَةَ الأَبْرَارِ، وَمُجَانَبَةَ الأَشْرَارِ(٢).

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص١٨٣)

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص١٨٤)

سُورَةُ الزُّمَرِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨].

قَالَ أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ: بَشَّرَ اللهُ تَعَالَى مَنْ فَتَحَ سَمْعَهُ لِاسْتِمَاعِ الأَحْسَنِ، لَا مَنْ سَمَاعُهُ عَلَى العَادَةِ وَالطَّبْعِ، فَإِنَّ المُتَحَقِّقَ فِي السَّمَاعِ مَنْ يَعْرِفُ حَالَهُ فِي وَقْتِ السَّمَاعِ فَيَتَّبِعُ الأَحْسَنَ مِمَّا يَسْتَمِعُ وَيَدَعُ مَا فِيهِ شُبْهَةٌ أَوِ اشْتِبَاهٌ، وَصَفَهُمُ اللهُ بِالاهْتِدَاءِ إِلَيْهِ وَالعَقْلِ فِيمَا يُسْمَعُ(١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

قَالَ أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ: مَنْ لَمْ يَكْتَفِ بِرَبِّهِ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ فَهُوَ فِي دَرَجَةِ الهَالِكِينَ(٢).

(١) تكميل حقائق التفسير (ص١٥٠)

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص١٩٩)

سُورَةُ غَافِرٍ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [غافر: ١٣].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: مِنْ آيَاتِهِ فِي الأَرْضِ سَوْقُ الأَرْزَاقِ إِلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ حَرَكَةٍ وَسَعْيٍ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ، وَمِنْ آيَاتِهِ لِلْخَوَاصِّ مِنْ عِبَادِهِ مَكَانُ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ صَفْوَتِهِ، فَمَنْ صَحِبَهُمْ وَتَبِعَهُمْ وَصَبَرَ عَلَى مُوَافَقَتِهِمْ كُفِيَ اهْتِمَامَ طَلَبِ الأَرْزَاقِ وَرُزِقَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ(١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: ١٧].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: يُرِيكَ جَزَاءَ كَسْبِكَ وَمَا تَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ لِتَرَى بَعْدَ ذَلِكَ مَحَلَّ الفَضْلِ وَالكَرَمِ(٢).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ [غافر: ٤١].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: أَدْعُوكُمْ إِلَى الطَّاعَةِ، وَتَدْعُونَنِي إِلَى

---

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٢٠٧)

(٢) حقائق التفسير (ج

المَعْصِيَةِ[1].

***

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾[غافر: ٧٧].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ**: اصْبِرْ عَلَى شَدَائِدِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ لِمَنْ صَبَرَ فِيهَا عَلَى الشَّدَائِدِ أَنْ يُوصِلَهُ إِلَى الرَّاحَةِ الكُبْرَى، وَهُوَ مَقْعَدُ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ[2].

(١) تكميل حقائق التفسير (ص١٥٥)

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص٢١٣)

سُورَةُ الشُّورَىٰ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾ [الشورى: ١ - ٣].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ**: الحَاءُ مِنَ الحَكِيمِ، وَالمِيمُ مِنَ المَلِكِ، وَالعَيْنُ مِنَ العَالِمِ، وَالسِّينُ مِنَ السَّيِّدِ، وَالقَافُ مِنَ القَادِرِ، هُوَ الَّذِي يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينِ مِنْ قَبْلِكَ، يُوحِي إِلَيْكَ مَا قَدْ سَلَفَ مِنْ أَخْبَارِ الأُمَمِ، وَيُوحِي إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ فَضْلَكَ وَفَضْلَ أُمَّتِكَ(١).

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٢٢٣)

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الزخرف: ١٢ - ١٣].

قَالَ أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ: لِيَكُنْ رُكُوبُكُم عَلَى الدَّوابِّ ضَرُورَةً عَنِ المَشْيِ، أَوْ حَرْبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا يَكُنْ رُكُوبُكُم عَلَيْهَا رُكُوبَ لَهْوٍ وَافْتِخَارٍ(١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزخرف: ٢٥].

قَالَ أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ: جَعَلْنَاهُمْ غَرْقَى فِي الشَّهَوَاتِ وَالأَمَانِيِّ، فَلَمْ يَتَفَرَّغُوا إِلَى تَصْحِيحِ التَّوْحِيدِ وَالمُعَامَلَاتِ(٢).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠].

قَالَ أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ: مَنْ لَمْ يَزْجُرْهُ عَنِ المُخَالَفَاتِ رُؤْيَةُ

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٢٣١)

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص٢٣٢)

الحَقِّ وَسَمَاعُهُ فَإِنَّهُ لَا يَزْجُرُهُ شَيْءٌ غَيْرُ ذَلِكَ.

وَقَالَ أَيْضًا: دَلَّ قَوْمًا مِنْ عِبَادِهِ عَلَى الحَيَاءِ مِنْهُ، وَرَدَّ قَوْمًا إِلَى الحَيَاءِ مِنَ الكِرَامِ الكَاتِبِينَ، فَمَنِ اسْتَغْنَى بِعِلْمِ نَظَرِ اللَّهِ إِلَيْهِ وَالحَيَاءِ مِنْهُ أَغْنَاهُ ذَلِكَ عَنِ الاشْتِغَالِ بِالكِرَامِ الكَاتِبِينَ (١).

(١) تكميل حقائق التفسير (ص١٦٨) وعرائس البيان (ج٣/ص٢٨٤)

سُورَةُ الدُّخَانِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: ٤].

قَالَ أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ: يُعْطَى كُلُّ عَامِلٍ بَرَكَاتِ أَعْمَالِهِ، فَيُلْقَى عَلَى لِسَانِ الخَلْقِ مَدْحُهُ، وَعَلَى قُلُوبِهِمْ هَيْبَتُهُ (١).

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٢٣٧)

سُورَةُ الأَحْقَافِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأحقاف: ١٣].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ ابْنُ طَاهِرٍ**: اسْتَقَامُوا عَلَى مَا سَبَقَ مِنْهُمْ مِنَ الإِقْرَارِ بِالتَّوْحِيدِ، فَلَمْ يَرَوْا سِوَاهُ مُنْعِمًا، وَلَمْ يَشْكُرُوا سِوَاهُ فِي حَالٍ، وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى غَيْرِهِ، وَثَبَتُوا مَعَهُ عَلَى مِنْهَاجِ الاسْتِقَامَةِ[١].

---

(١) عرائس البيان (ج٣/ص٢٩٨)

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [محمد: ١١].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: نَاصِرُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى الشَّيْطَانِ حَتَّى لَا يَغْلِبَ عَلَيْهِ هَوَى نَفْسِهِ وَلَا تُصِيبَهُ وَسْوَسَةُ شَيْطَانِهِ[١].

(١) تكميل حقائق التفسير (ص١٧٤)

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾[الحجرات: ٢].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: لَا تَبْدَؤُوهُ بِالخِطَابِ، وَلَا تُجِيبُوهُ إِلَّا عَلَى حَدِّ الحُرْمَةِ(١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾[الحجرات: ٦].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: الفَاسِقُ: الَّذِي لَا يَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ مَا يَسْتَحْيِي مِنَ المَخْلُوقِينَ(٢).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[الحجرات: ١٢].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: حَسِّنُوا أَخْلَاقَكُمْ مَعَ إِخْوَانِكُمْ(٣).

---

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٢٦٠) أورده الإمام أبو حفص عُمَر السُّهْرَوَرْدي (ت٦٣٢هـ) ثم شرحه بقوله: أي: لا تُغْلِظُوا له في الخطاب، ولا تنادُوه باسْمه: يا محمد، يا أحمد، كما ينادي بعضكم لبعضٍ، ولكن فخّموه واحْترِموه، وقولوا: يا نبيَّ الله، ويا رسول الله. (عوارف المعارف، ج٢/ص٣٤٤)

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص٢٦١)

(٣) تكميل حقائق التفسير (ص١٨٢)

سُورَةُ الطُّورِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ [الطور: ٢٧].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: مَنَّ عَلَيْنَا بِإِحْسَانِهِ إِلَيْنَا بِأَنْ جَعَلَنَا مِنْ أَهْلِ دَارِ كَرَامَتِهِ، وَوَقَانَا مِنْ دَارِ إِهَانَتِهِ[١].

---

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٢٨١)

سُورَةُ القَمَرِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: المُتَّقُونَ أَحِبَّاءُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [التوبة: ٤]، وَأَمَّا فِي الآخِرَةِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥][١].

(١) تكميل حقائق التفسير (ص١٩١)

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ٣﴾ [الواقعة: ٣].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: تَخْفِضُ النُّفُوسَ، وَتَرْفَعُ القُلُوبَ(١).

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٢٩٩)

سُورَةُ الحَدِيدِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: هُوَ الأَوَّلُ لِآخِرِهِ، وَالآخِرُ لِأَوَّلِهِ، وَالظَّاهِرُ لِبَاطِنِهِ، وَالبَاطِنُ لِظَاهِرِهِ(١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: ١٤].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بِاتِّبَاعِ مُرَادِهَا وَطَلَبِ رِضَاهَا، وَلَمْ تَرُوضُوهَا بِالمُخَالَفَةِ لَهَا، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أَخَّرْتُمُ التَّوْبَةَ وَأَصْرَرْتُمْ، ﴿وَغَرَّتْكُمُ﴾ شَهَوَاتُ الدُّنْيَا وَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهَا شَهَوَاتٌ مُنْقَضِيَةٌ فَانِيَةٌ تُعْقِبُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً دَائِمَةً(٢).

---

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٣٠٦)

(٢) تكميل حقائق التفسير (ص١٩٦)

سُورَةُ المُجَادِلَةِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة: ٢١].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: أَهْلُ الحَقِّ لَهُمُ الغَلَبَةُ أَبَدًا، وَرَايَةُ الحَقِّ تَسْبِقُ الرَّايَاتِ أَجْمَعَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُمْ أَعْلَامًا فِي خَلْقِهِ، وَأَوتَادًا فِي أَرْضِهِ، وَمَفْزَعًا لِعِبَادِهِ، وَعِمَارَةً لِبِلَادِهِ، فَمَنْ قَصَدَهُمْ بِسُوءٍ كَبَّهُ اللَّهُ لِوَجْهِهِ، وَأَذَلَّهُ فِي ظَاهِرِ عِزِّهِ[1].

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٣١٥)

سُورَةُ القَلَمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: يَعْنِي عَلَى أَدَبِ القُرْآنِ، وَمِنْ حُسْنِ الخُلُقِ حُسْنُ المُعَامَلَةِ وَحُسْنُ المُعَاشَرَةِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَدَمِهِ وَمَنْ تَحْتَ يَدِهِ.

وَأَصْلُ حُسْنِ الخُلُقِ: العَفْوُ وَالتَّجَاوُزُ، وَأَنْ يَرْفَعَ التَّوْبِيخَ وَالعِتَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَيَصْبِرَ عَلَى الدَّوَامِ، وَيَتْرُكَ الحِقْدَ وَالشِّكَايَةَ، وَيُحْسِنَ إِلَيْهِمْ مَا أَمْكَنَهُ، وَيَحْتَسِبَ فِي ذَلِكَ(١).

---

(١) تكميل حقائق التفسير (ص٢٠٦)

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ١﴾[المزمل: ١].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ بِالنُّبُوَّةِ، وَالمُزَّمِّلُ بِالرِّسَالَةِ، شَفِيعَ النَّاسِ عِنْدَ الإِيَاسِ، مُشَفَّعٌ عِنْدَ حُضُورِ النَّاسِ(١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ٤﴾[المزمل: ٤].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: تَدَبَّرْ فِي لَطَائِفِ خِطَابِهِ، وَطَالِبْ نَفْسَكَ بِالقِيَامِ بِأَحْكَامِهِ، وَقَلْبَكَ بِفَهْمِ مَعَانِيهِ، وَسِرَّكَ بِالإِقْبَالِ عَلَيْهِ(٢).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ٥﴾[المزمل: ٥].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: قَوْلًا لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا قَلْبٌ مُؤَيَّدٌ بِالتَّوْفِيقِ، وَنَفْسٌ مُزَيَّنَةٌ بِالتَّوْحِيدِ(٣).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ٧﴾[المزمل: ٧].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: اشْتِغَالًا بِالخِدْمَةِ، وَإِقْبَالًا عَلَى اللَّهِ، وَانْتِظَارًا لِمَوَارِدِ الوَحْيِ(٤).

---

(١) تكميل حقائق التفسير (ص٢١٠)

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص٣٥٥) والكشف والبيان (ج٢٧/ص٤٧٧)

(٣) حقائق التفسير (ج٢/ص٣٥٥) والكشف والبيان للثعلبي (ج٢٧/ص٤٨٢)

(٤) حقائق التفسير (ج٢/ص٣٥٥)

سُورَةُ الإِنسَانِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾[الإنسان: ٣١].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: المَشِيئَةُ أَوْجَبَتْ لِلْخَلْقِ الرَّحْمَةَ، لَا الأَعْمَالُ؛ فَإِنَّ الرَّحْمَةَ صِفَتُهُ، وَلَا عِلَّةَ لِصِفَاتِهِ، وَأَعْمَالُ الخَلْقِ مَشُوبَةٌ بِالعِلَلِ، وَلَا يَسْتَوْجِبُ الخَلْقُ بِمَعْلُولٍ مِنَ الأَفْعَالِ مَا لَا عِلَّةَ لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ(١).

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٣٦٦)

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾ [النازعات: ١٨ - ١٩].

قَالَ **أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ**: عَلَّمَ اللهُ تَعَالَى بِهَذِهِ الآيَةِ مَنْ يَدْعُو الخَلْقَ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَدْعُوَهُمْ بِالشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ، لَا بِالجَفْوَةِ وَالغِلْظَةِ، إِلَّا إِذَا أَبَوْا ذَلِكَ وَقَابَلُوا الرِّفْقَ بِضِدِّهِ فَحِينَئِذٍ يَسْتَحِقُّونَ خُشُونَةَ الخِطَابِ، لَمَّا أَبَى فِرْعَوْنُ قَبُولَ النَّصِيحَةِ وَالمَوْعِظَةِ أَرَاهُ مِنَ الآيَاتِ مَا اسْتَحَقَّهُ(١).

(١) تكميل حقائق التفسير (ص٢١٥)

سُورَةُ عَبَسَ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾﴾ [عبس: ٢٠].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: يَسَّرَ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ مَا خَلَقَهُ لَهُ وَقَدَّرَهُ عَلَيْهِ(١).

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٦].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: يَفِرُّ مِنْهُمْ إِذَا ظَهَرَ لَهُ عَجْزُهُمْ وَقِلَّةُ حِيلَتِهِمْ إِلَى مَنْ يَمْلِكُ كَشْفَ تِلْكَ الكُرُوبِ وَالهُمُومِ عَنْهُ، وَلَوْ ظَهَرَ لَهُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا لَمَا اعْتَمَدَ سِوَى رَبِّهِ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَتَمَكَّنَ مِنْ فُسْحَةِ التَّوَكُّلِ، وَاسْتَرَاحَ فِي ظِلِّ التَّفْوِيضِ(٢).

---

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٣٧٣)

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص٣٧٤) وعنه الثعلبي في الكشف والبيان (ج٢٨/ص٤٤٩)

سُورَةُ الانْشِقَاقِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ [الانشقاق: ٦].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: إِنَّكَ تُعَامِلُ رَبَّكَ مُعَامَلَةً سَتُعْرَضُ عَلَيْكَ فِي المَشْهَدِ الأَعْلَى، فَاجْتَهِدْ أَنْ لَا تَخْجَلَ مِنْ سُوءِ مُعَامَلَتِكَ مَعَ خَالِقِكَ[1].

(١) تكميل حقائق التفسير (ص٢١٩)

سُورَةِ الأَعْلَى

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾ [الأعلى: ٩].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: عِظْهُمْ، وَلَا يَتَّعِظُ بِمَوْعِظَتِك إِلَّا أَهْلُ الخَشْيَةِ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الأعلى: ١٠][1].

(١) نقله البقلي في العرائس (ج٣/ص٥٠٢)

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ بِالفَضْلِ[1]، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ بِالعَدْلِ[2].

(١) لا بالوُجُوبِ، ردًّا على مَنْ أوْجَبَ البَعْثَ عَقْلا.

(٢) حقائق التفسير (ج٢/ص٣٩٣)

سُورَةِ الشَّمْسِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩ - ١٠].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: أَفْلَحَ مَنْ طَهَّرَ سِرَّهُ عَنِ التَّدَنُّسِ بِالدُّنْيَا، وَخَابَ مَنْ شَغَلَ سِرَّهُ بِهَا[١].

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٣٩٧)

سُورَةُ التِّين

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين: ٤].

قَال أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: مُزَيَّنًا بِالعَقْلِ، مُؤَدَّبًا[(١)] بِالأَمْرِ، مُهَذَّبًا[(٢)] بِالتَّمْيِيزِ، مَدِيدَ القَامَةِ، يَتَنَاوَلُ مَأْكُولَهُ بِيَدِهِ[(٣)].

(١) خ: مُؤَيَّدًا.

(٢) خ: مَهْدِيًّا.

(٣) حقائق التفسير (ج٢/ص٤٠٦)

سُورَةُ البَيِّنَةِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [البينة: ٨].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: الرِّضَا: خُرُوجُ الكَرَاهِيَةِ مِنَ القَلْبِ حَتَّى لَا يَكُونَ إِلَّا فَرَحٌ وَسُرُورٌ[١].

---

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٤١٢)

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ٦﴾ [الزلزلة: ٦].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: مُعْتَمِدٌ عَلَى عَمَلِهِ، وَمُسْتَحْيٍ مِنْ مُخَالَفَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ، وَرَاجٍ شَفَاعَةَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمُعْتَمِدٌ فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَهْلُ الصَّفْوَةِ وَاقِفُونَ بِلَا عِلَاقَةٍ مِنْ هَذِهِ العَلَائِقِ إِلَى أَنْ يَصِلُوا إِلَى مَأْمُولِهِمْ وَمُرَادِهِمْ[1].

(١) زيادات حقائق التفسير (ص٢٢٧)

سُورَةُ الهُمَزَةِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣﴾ [الهمزة: ٣].

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: يَظُنُّ أَنَّ مَالَهُ يُوصِلُهُ إِلَى مَقَامِ الخُلْدِ(١).

(١) حقائق التفسير (ج٢/ص٤٢٠)

فهرس

دار الإمام ابن عرفة
تونس